

روائع الأدب العالمي للناشئين

تأليف: جون بوكان / ترجمة: صبري الفضل

درجات السلم التسع والثلاثون



درجات السلم التسع والثلاثون

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى: درجات السلم

التقنية: أقلام ملونة على ورق

المقاس: ٢٥ × ٣٥ سم

محمود الهندى (١٩٤٣ -   )

فنان تشكيلى مصرى، ومصمم جرافيكى، تخصص فى صناعة الكتاب، وابتكر صيغة موازاة الأعمال الأدبية بالأعمال التشكيلية فى الكتب منذ عام ١٩٦٤، ثم أقام معارضه داخل متون الكتب، ويحاول الولوج إلى عالم رسوم الأطفال، فأنجز العديد من الكتب للأطفال لدور النشر المختلفة، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المركز القومى للطفل، هيئة قصور الثقافة، مؤسسة دار الهلال.

درجات السلّم التسع والثلاثون

تأليف: چون بوكان

ترجمة: صبري الفضل

مراجعة: مختار السويفي



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمي للناشئين)

درجات السلم التسع والثلاثون

تأليف: جون بوكان

ترجمة: صبري الفضل

مراجعة: مختار السويفي

الغلاف والإشراف الفني:

الفنان : محمود الهندي

الإخراج الفني والتنفيذ:

صبري عبد الواحد

المشرف العام :

د. سمير سرحـــان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

نعم استطاعت مكتبة الأسرة بإصداراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيباً في المكتبة العربية وأن تزيد رقعة للقراءة والقراء، بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيري على إصداراتها غير مسبوق على مستوى النشر في العالم العربي أجمع، بل أعادت إلى الشارع الثقافي أسماء رواد في مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى وأطلعت شباب مصر على إبداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص ها هي تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالي في مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعي بعد أن حققت في العامين الماضيين إقبالاً جماهيرياً رائعاً على الموسوعات التي أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الإبداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام في «مكتبة الأسرة».. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبته وراعيته السيدة العظيمة/ سوزان مبارك..

د. سمير سرحان

هذه ترجمة لرواية:

THE THIRTY - NINE STEPS
BY: JOHN BUCHAN

رئيس التحرير: مختار السويفى

مقدمة

ولد جون بوكان في بيرث، باسكتلندا - عام ١٨٧٥، ومات في مونتريال، بكندا - عام ١٩٤٠. كان رجل دولة وكاتباً مشهوراً بقصصه عن المغامرات سريعة الخطوة. وكتبه الخمسون كتبها كلها في وقت فراغه، بينما كان يلعب دوراً نشطاً في السياسة والدبلوماسية والنشر، المتضمن الكثير من السير والروايات التاريخية.

كان ابناً لرجل دين. تعلم في جامعتى جلاسجو وأكسفورد، حيث بدأ ينشر أعماله القصصية والتاريخية. وعمل مع المندوب السامى البريطانى بجنوب إفريقيا (١٩٠١ - ١٩٠٣). ولقد استخدم خبراته الإفريقية بشكل جيد في رومانسيته، «بريستر جون»

(١٩١٠)، تنبأ فيها عن صحوة إفريقيا. وعند عودته للندن عمل مديراً لدار نلسون للنشر، حيث كتب لها أعظم رواياته.. وأثناء الحرب العالمية الأولى عمل بالحكومة، وفي عام ١٩١٧ أصبح مديرا للمخابرات البريطانية.

ورواية «درجات السلم التسع والثلاثون»، هي أشهر وأول قصة من سلسلة قصص التحري السري المثيرة التي كان بطلها السيد المهذب «الجنتلمان» ريتشارد هاناي. وظهرت عام ١٩٣٥، فيلماً سينمائياً لمخرج الإثارة والتشويق ألفريد هيتشكوك.

وبوكان يُذكَر الآن أساساً من أجل قصصه هذه التي مهدت الطريق لشخصية جيمس بوند، للكاتب أيان فليمنج. وهي قصص عن أعمال المخابرات والتحري السري التي ذاع صيتها في شتى أرجاء العالم.

وبعد الحرب أصبح بوكان مديراً لوكالة رويتر للأخبار، وعضواً في البرلمان عن الجامعات الاسكتلندية. وكتبه في السير ومنها مونتروز (١٩٢٨)، سير والتر سكوت (١٩٣٢)، معروفة بالفهم الذكي للتاريخ والأدب الاسكتلندي. وفي عام ١٩٣٥ أُنعم عليه بلقب لورد (تويد سموير الأول)، وعيّن حاكماً عاماً لكندا، حتى وفاته.

والآن أيها القارئ الحبيب هيا بنا نلهث مع فن بوكان باستخدامه لمغامرات المخابرات وأعمال التحرى المثيرة، وفى تحويل الميلودراما إلى سرد مشوّق معقول قابل للتصديق.

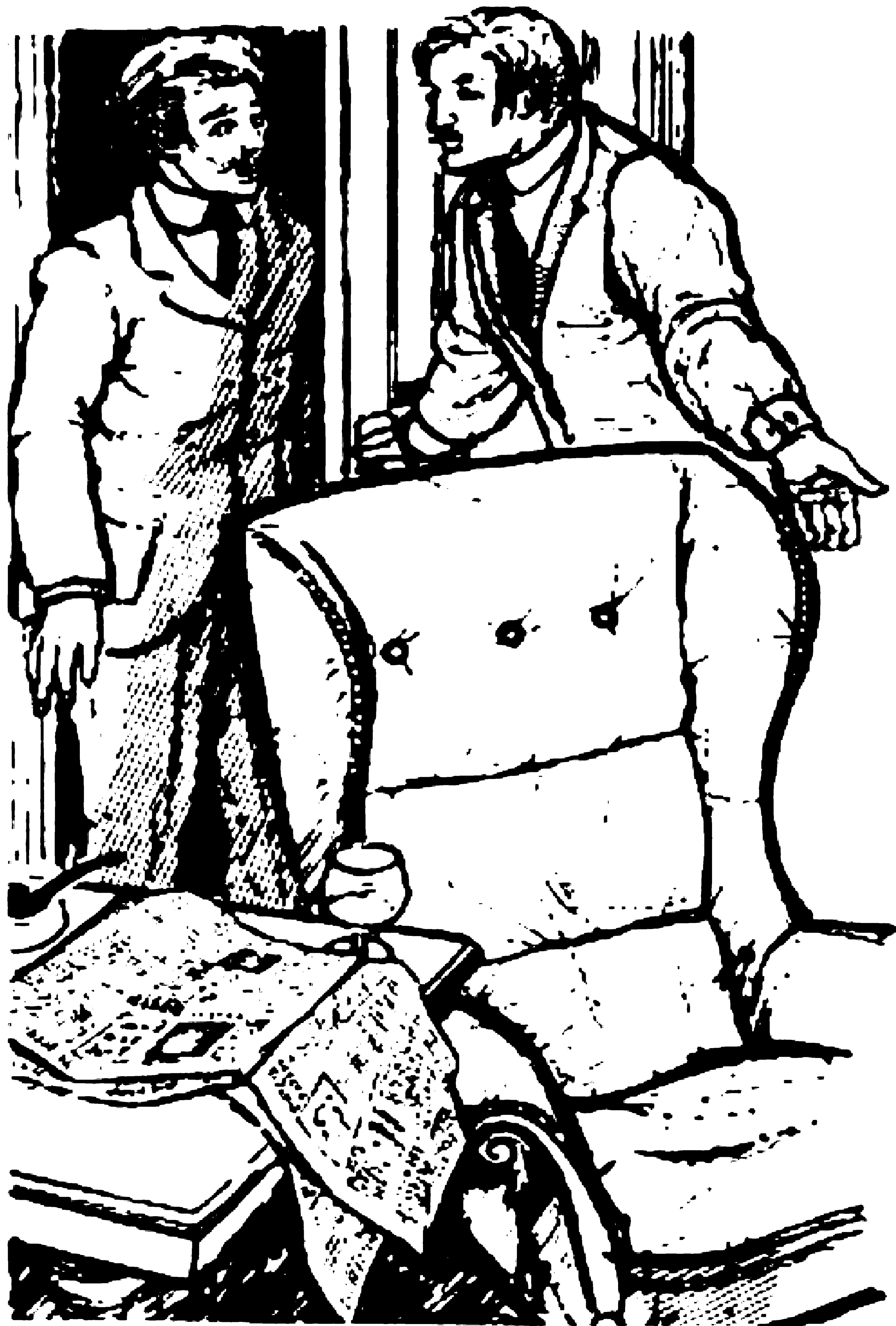
صبرى الفضل

١. الرجل الذي مات

اسمي ريتشارد هاناي وأنا في السابعة والثلاثين من عمري. ولدت في اسكتلندا، لكن في عام ١٨٨٣ رحلت عائلتي إلى روديسيا(*) . ونشأت هناك وعملت باجتهاد لمدة عشرين سنة . ثم عدت إلى بريطانيا في مارس ١٩١٤ . وكان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى بخمسة أشهر. وجلبت معي مالاً وفيراً، فكنت أريد أن أقضي عطلة طيبة. في الحقيقة، كانت بريطانيا هي مركز كل أحلامي وخططي، وكان أملي أن أبقى فيها بقية عمري.

وفي مارس كنت أعيش في لندن في شقة قد استأجرتها. وفي إحدى الأمسيات كنت أقرأ الصحيفة هناك وحدي. فقرأت عن

(*) التي هي الآن زامبيا شمالاً وزيمبابوي جنوباً بإفريقيا. (المترجم).



كان رجلاً بخيلا له عينين فاتحتي الزرقة

بعض المشاكل في الشرق، وقرأت أيضاً عن كارولوديس، رئيس الوزراء اليوناني.

قلت لنفسي:

- إنه رجل طيب، وشريف أيضاً. وربما يكون أقوى رئيس وزراء في أوروبا، لكن الألمان يكرهوه.

وفجأة سمعت طرقة خفيفة على الباب. فوضعت الصحيفة جانباً، وفتحت الباب. كان رجلاً واقفاً خارج الباب، وتعرفت عليه في الحال. لم أكن أعرف اسمه، لكن كانت لديه شقة في الطابق الأعلى. كان رجلاً نحيلاً له عينان فاتحتا الزرقة.

قال:

- إنني أقطن في الطابق الأعلى. هل أستطيع التحدث معك؟ هل لي أن أدخل؟

فدعوته للدخول وأغلقت الباب، فقال:

- آسف جداً، لكنني في ورطة، هل يمكن أن تساعدني؟

قلت:

- حسن، سأستمع لك، لكنني لا أستطيع أن أعد بأكثر من ذلك.

. كنت أستطيع أن ألاحظ أنه عصبي. فلم يكن يقدر على الوقوف ساكناً، لذلك أعددت له مشروباً ليهدىء من روعه. فشربه في الحال. وعندما وضع الكوب، كسره.

فقال:

- اعذرني. إنني عصبي أكثر من اللازم الليلة، وهذاك سبب وجيه لذلك. والآن يا سيدي دعني أقول لك بعض أسراري، إذ تبدو عليك سمات الشرف والأمانة، كما تبدو شجاعاً أيضاً. إنني في ورطة كبيرة وأحتاج لصديق يسمعني.

قلت:

- أخبرني بها، وعندئذ سأعطيك إجابتي.

قال:

- إنني أمريكي، جئت منذ بضع سنوات إلى أوروبا لأعمل في صحيفة أمريكية.. وتعلمت عدّة لغات، واكتشفت الكثير عن السياسات الأوروبية. كما أنني اكتشفت، أيضاً الخطط الألمانية عن الحرب، وأعرف جماعة من الجواسيس الألمان. باختصار، هؤلاء الجواسيس يقتفون أثري الآن ويريدون أن يصطادوني. وهذه هي الورطة التي أنا فيها. إذا كنت تعرف أي شيء عن

السياسة، يا سيدى، فستعرف أن أوروبا على حافة حرب، ويوجد رجل واحد فقط يستطيع أن يوقفها.

فسألت:

- من هو؟

- كاروليديس رئيس وزراء اليونان.

قلت:

- أوه. لقد كنت أقرأ عنه تواً، توجد قصة فى الصحيفة المسائية.

فقال:

- نعم. حسن، الألمان يريدون قتله. وسوف يقتلوننى أنا أيضاً إذا استطاعوا. كاروليديس سوف يأتى إلى لندن الشهر القادم. لقد قبل دعوة وزارة الخارجية فى الخامس عشر من يونيو، ولقد اختاروا ذلك التاريخ لقتله. وأنا الرجل الوحيد الذى أستطيع أن أنقذه.

- وكيف أستطيع أ ن أساعدك يا مستر....؟

قال:

- سكودر، فرانكلين ب. سكودر. لقد قلت لك، ياسيدى، إن هؤلاء الجواسيس يريدون قتلي. واعتقدت أننى آمن تماماً فى لندن. وكنت متأكداً أن أعدائى لم يتعقبونى إلى هنا. لكنى وجدت مساء الأمس بطاقة فى صندوق بريدى، وكان مدوّناً عليها اسم رجل. وكان اسم أحد أعدائى.

قلت:

- يجب أن تبلّغ وزارة الخارجية. سوف يساعدونك وسوف ينقذون كاروليديس أيضاً.

- لا يوجد وقت لذلك. أعدائى يعرفون أنى فى هذا المبنى. ولعلهم ينتظرون فى الخارج للإمساك بى. هل تعتقد أنى يمكن أن أختبىء فى شقتك، يا سيدى؟

قلت:

- حسن، من الأفضل أن أتحقق من قصتك أولاً، سأخرج وأتطلع حول العمارة. فإذا لاحظت أى شئ مريب فسأوافق على مساعدتك. هل هذا يرضيك؟

وغادرت الشقة وخرجت إلى الشارع. كان يوجد أمام العمارة رجل واقف، ورفع يده حالما شاهدنى. فتطلعت من حولى بسرعة

فلاحظت وجهاً في نافذة عبر الشارع. ورد صاحب الوجه على إشارة الرجل فوراً، ثم اختفى الوجه. اشتريت صحيفة أخرى من على ناصية الشارع ثم عدت إلى الشقة، وقلت:

- تمام يا مستر سكودر، يمكنك البقاء هنا الليلة.

لقد نجحت قصتك. هناك شخص في الخارج يبدو مريباً. وأعتقد أن أعداءك يقيمون في منزل عبر الشارع. رأيت وجهاً عند النافذة، لكنه اختفى في الحال.

وأقام سكودر في شقتي بهدوء لبضعة أيام. وعندما كنت أخرج، كانت عصبيته تزداد. ولاحظت وقوف شخص ما دائماً خارج العمارة. كما رأيت الوجه عند النافذة عدة مرات لكن لم يأت أحد إلى الشقة.

كتب سكودر ملاحظات مقتضبة كثيرة في مفكرة سوداء صغيرة.

وحسب الأيام حتى الخامس عشر من يونيو وعلّم عليها في المفكرة.

وفي أحد الأيام قال:

- الوقت يجري بسرعة يا هاناي. إذا كانوا ما زالوا يراقبون المنزل، فلن أستطيع الهرب. إذا حدث أي شيء لي، هل ستواصل النضال؟

أحببت مغامرات سكودر، وكانت قصته مثيرة. لكن ليس لى اهتمام بالسياسة ولم أنصت له بشكل جيد. واستمر هو فى الحديث.

قال لى عن سيدة تدعى جوليا زيلشيلى التى كانت واحدة من جماعة الجواسيس وقال:

- إنها فظيعة يا هاناى، لكن الرجل الكبير أفظع .

كان هذا الرجل الكبير العدو الرئيسى لسكودر، وقام بوصفه بعناية فائقة.

قال:

- شئ غريب، فصوته صوت شاب صغير. وعيناه، يا هاناى! إذا شاهدت عينيه، فلن تنساهما. فهما صغيرتان وذكيتان مثل عينى العصفور.

وتحدث طويلاً فى ذلك اليوم. لا أستطيع أن أذكر كل ما قاله. لكنى لاحظت أنه كان عصبياً أكثر من المعتاد.

وفى المساء ذهبت للعشاء بالخارج مع صديق وكانت الساعة العاشرة والنصف عندما عدت. فتحت باب الشقة ودخلت. لم



وكان يوجد سكينا طويلا نافذا لقلبه

تكن الأنوار مضاءة، وبدا هذا غريباً بعض الشئ. فأشعلت الأنوار وتطلعت حولي. لم يكن يوجد أحد فظننت أ ن سكودر قد ذهب للنوم مبكراً.

دخلت الحجرة التالية فرأيت شيئاً في الركن. ولم أستطع للحظة أن أميزه، لكني عندئذ شعرت فجأة ببرد ووهن شديدين. أردت أن أفتح فمي وأصرخ، لكني لم أستطع الحركة أو التفوه بشئ.

كان سكودر راقداً على ظهره في الركن. وكان يوجد سكين طويل نافذ لقلبه ومقبضه شامخ فوق ملابسه، وكان الرجل المسكين مثبتاً في أرضية الحجرة.



٢.بائع اللبـــن

أخيراً جلست شاعراً بالاشمئزاز. جلست هكذا ربما لمدة خمس دقائق ثم أحسست بالخوف. كنت مضطرباً للغاية حتى أنني غطيت جثمان سكودر بمفرش المائدة. لكنني كنت لا أزال أرى هيكل مقبض السكين. كان يشير إليّ كالأصبع. فأعددت مشروباً لنفسي وجلست مرة أخرى أفكر.

مات سكودر وجثته تثبت صدق قصته. لقد قتله أعداؤه لأنه كان يعرف خططهم

فكرت:

- سوف يقتلونني بعد ذلك، فهم يعرفون أنه كان يقيم في الطابق الأعلى. ويعرفون أنه كان في شقتي لمدة ثلاثة أو أربعة أيام. وسيخمنون أنه أبلغني عن خططهم.

ماذا يجب علي أن أفعل؟ حسن، أستطيع التوجه إلى الشرطة في الحال وأحكي لهم القصة. لكنهم سيرتابون إذا أخبرتهم عن موت سكودر.

فكرت:

- سيظنون أنني قتلته، وقد يلومونني على موته.

فكرت في الأمر فترة طويلة، واتخذت لخطط. لم أكن أعرف سكودر جيداً لكنني أحببته. وكانت أحب المغامرة أيضاً، وأريد أن أواصل عمله.

وفكرت:

- هل أكتب لرئيس الوزراء؟ أم لوزارة الخارجية؟ لكن لعل ذلك ليس من الضروري. سوف أختفي لمدة أسابيع قليلة. ثم أعود إلى لندن وألجأ إلى الشرطة بعدها.

اتجهت إلى جثة سكودر ورفعت عنه الغطاء. لقد رأيته يكتب في مفكرة صغيرة، فبحثت في جيوبه. لكن المفكرة قد اختفت، ولم يترك أية أوراق على الإطلاق.

وفتحت مكتبي وأخرجت خريطة بريطانيا. وفكرت أن سكتلندا هي أفضل مكان لاختفائي. لقد ولدت هناك ولا أزال أتكلم

مثل أي اسكتلندي. وفي روديسيا تعلمت أيضاً اللغة الألمانية بشكل جيد، ففكرت في الذهاب إلى ألمانيا. لكن ربما اسكتلندا كانت فكرة أفضل.

واخترت جالواي التي كانت منطقة قفر من الريف. وكان يوجد بها قليل من المدن الكبيرة، وليست شاسعة البعد بالنسبة للسفر إليها. وكنت أعرف أن هناك قطارا إلى اسكتلندا في الصباح. كان يترك لندن في السابعة وعشر دقائق. لكن كيف لي أن أخرج من الشقة؟ لن أستطيع الهرب إذا كان أعداء سكودر خارج المبنى.

وفجأة سنحت لي فكرة مدهشة. كان بائع اللبن يأتي بمحصلي كل صباح في السادسة والنصف. وكان شاباً في نفس حجمي. كان له شارب قصير أسود ويرتدي قبعة ومعطفاً أبيضين. كانت فكرتي أن أقترض ملابسه ووعاء اللبن المعدني. وبذلك أستطيع الهروب من المبنى كبائع لبن.

وبعدما ذهبت للنوم ونمت عدداً من الساعات لا بأس بها. وفي الصباح تحممت وقصّرت شاربي بعناية. كان طويلاً وداكنا فقصّرته. وعددت نقودي ووضعت خمسين جنيهاً في جيبي. وأثناء استعدادي، تذكرت التبغ. وعندما وضعت أصابعي في



عندما رأى الجنيه الذهب اتسعت عيناه

علبة التبغ الكبيرة، شعرت بشئ جامد تحت التبغ. وكانت مفكرة سكوردر السوداء الصغيرة، فوضعتها في جيبي.

كانت فالاً طيبا، حسب اعتقادي، لقد أخفاها سكوردر هناك، ولم يعثر عليها أعداؤه.

أصبحت الساعة السابعة إلا عشرين دقيقة، وتأخر بائع اللبن عن موعده. لكنى سمعت فجأة صوت وعاء اللبن المعدنى على السلالم، ففتحت الباب.

قلت:

- تعال من فضلك. أريد أن أتحدث إليك.

فدخل الشقة وأغلقت الباب، وقلت:

- اسمع، إنك رجل طيب، وأريد منك خدمة.

وأخرجت جنيها ذهبيا من جيبى وأردفت قائلاً:

- إذا وافقت، فسأعطيك هذا. عندما رأى الجنيه الذهب اتسعت عيناه.

وسأل:

- ماذا تريدنى أن أفعل؟

قلت:

- أريد أن أقترض ملابسك ووعاء اللبن لبضع دقائق.

فضحك وقال:

- لماذا تريد ذلك؟

- حسن، لقد تذكرت شيئاً، لكنى لا أستطيع أن أشرحه الآن. دعنى أقترض ذلك وسأعود فى خلال عشر دقائق. ووضعت الجنيه الذهب فى يده.

فقال:

- عظيم ولنا أحب بعض الفرفشة أيضاً.

ارتديت الملابس وخرجنا من الشقة. وأغلقت الباب خلفى.

وقلت:

- لا تبتعد، وسأعود حالاً.

نزلت السلالم وخرجت للشارع وعملت ضجةً بوعاء اللبن، وشرعت فى الغناء. فنظر إلى الرجل الواقف خارج المبنى، لكنه لم يقل شيئاً. ونظرت إلى المنزل المقابل فلاحظت الوجه عند النافذة مرة أخرى. وعند أول شارع متقاطع استدرت وبدأت

أجرى. ثم خلعت ملابس بائع اللبن وألقيت بها مع وعاء اللبن من فوق الجدار.

وعندما وصلت إلى محطة السكة الحديد، كانت الساعة السابعة وعشر دقائق. وكان القطار يتحرك بالفعل ببطء من المحطة، ولم يكن لدى وقت لشراء تذكرة. فركضت وأمسكت بالباب، وفتحته وتسلقت داخل القطار.

وجاء محصل التذاكر على الفور. وكان غاضباً منى، فما كان منى إلا أن اختلقت بعض الأعذار. لكنه قبلها على مضض وكتب لى تذكرة إلى نيوتون - سديوارت فى جالواى.



٣.مدير الفندق

قضيت النهار كله في السفر إلى الشمال. وقف القطار في محطة ليدز حيث اشتريت وجبة طعام وصحيفة الصباح. وجاء محصل تذاكر آخر وأبلغني أن أغيّر القطار عند دومفريز.

قرأت الصحيفة، لكن لم يكن يوجد بها شئ عن موت سكودر بالطبع، فالوقت لا يزال مبكراً على ذلك. ثم أخرجت مفكرة سكودر الصغيرة. كانت مملوءة بالأرقام لكن كان فيها أيضاً بعض أسماء غريبة. ولاحظت كلمات مثل «هوفجارد»، «لونيفيل»، «افوكادو»، و«بافيا»، وظهرت الكلمة الأخيرة عدة مرات.

كانت من الواضح نوعاً من الشفرة، وكنت دائماً مغرماً بالشفرات. وأخذت أتفحصها بعناية. لقد كتب سكودر أعداداً بدلاً



اسرع يا سيدى

من الحروف. لكن ما معنى الأسماء؟ أعرف أن بعضها أسماء مدن. لكن هل كان يستعملها بدلاً من أسماء الناس؟ يوجد عادة كلمة سر في شفرات كهذه وحاولت أن أخمنها. لم تكن «هوفجارد» هي كلمة السر، لأنها لا تتناسب مع بقية الشفرة. وحاولت الكلمات الأخرى أيضاً لكنها لم تتناسب أيضاً.

ونمت لمدة ساعة أوساعتين، ثم أيقظني صوت محصل التذاكر:

- أسرع ياسيدي. المفروض أن نغيّر القطار هنا.

طللت من النافذة. كنا عند دومفريز ولقد توقف القطار. فنزلت وعبرت المحطة إلى قطار جالواي.

كان القطار ممتلئاً تماماً، ودارت محادثة مسلية بيني وبين أحد الفلاحين الذي اعتقد أنني فلاح أيضاً! تحدثنا عن الماشية والمحاصيل والأسعار. ونزل كثير من الناس في محطات مختلفة، لكني استمريت. وفي الساعة الخامسة توقف القطار في بلدة صغيرة لاأتذكر اسمها. لا أستطيع تذكرّ اسمها، لكنها كانت هادئة .وكانت بعيدة عن لندن.

نزلت وأخذ طفل تذكرتي. كان مساءً جميلاً جعلني أشعر بالسعادة. تبعت الطريق لمسافة ميل، ربما، ثم مشيت في ممر

على طول الوادى. ولم أمش كثيراً حتى وصلت إلى كوخ. وكانت تقف بباب الكوخ سيدة، فتحدثت معها. وأجابت علىّ بأدب جم، وقلت:

- هل يمكن أن أقيم الليلة هنا؟

فأجابت:

- أهلاً بك، تفضل.

وبسرعة غريبة وضعت أمامى وجبة رائعة، وشربت عدة أكواب من الحليب الحلو الدسم.

وعندما حل الظلام عاد زوجها للبيت. كان رجلاً ضخماً له شارب أسود كثيف. وتحدثنا بأدب لساعة أو يزيد، ونحن بعضنا من تبغى. ولم يسألنى أية أسئلة لكنهما ظنا على ما أعتقد أنى مزارع.

وفى الصباح استمتعت بإفطار كبير. لكن عندما قدمت نصف جنيه ذهب للسيدة، لم ترد أن تأخذه. وكان يوماً دافئاً، لذلك أعطتنى علبة حليب صغيرة لأخذها معى. وكانت الساعة التاسعة عندما غادرت الكوخ.

ومشيت بضعة أيام إلى الجنوب لأننى أردت أن أعود إلى السكة الحديد. ولكنى لم أستطع أن أعود بالطبع لنفس المحطة



وتحدثنا بأدب لساعة أو يزيد ونحن نعضنا من تبغي.

الصغيرة. فرجال السكة الحديد والطفل سيتعرفون على إذا شاهدوني ثانية، وعندئذ سيتذكروني.

لذلك اتجهت إلى المحطة التالية وفي طريقي إلى هناك رسمت خطة. وكانت آمن طريقة أن أعود إلى دومفريز. فالشرطة قد تكون بدأت البحث عني وسأكون أكثر أمناً في بلدة كبيرة.

وعندما وصلت المحطة، اشتريت تذكرة إلى دومفريز.

ولم أنتظر طويلاً حتى جاء القطار. وركبت مع رجل مسن وكلبه، وغط الرجل في النوم فوراً. فاقترضت صحيفته الصباحية التي كانت ملقاة بجانبه.

كانت قصة جريمة القتل في الصفحة الأولى. حروف كبيرة تقول:

«جريمة قتل في شقة بلندن»

لقد انتظرني بائع اللبن لمدة نصف ساعة. ثم اتصل بالشرطة. ودخلوا شقتي ووجدوا جثة سكودر. وتم القبض على بائع اللبن وأخذوه إلى السجن! وشعرت بأسف شديد من أجل الرجل المسكين..

واستمرت القصة على الصفحة الخلفية. وكان آخر خبر أن بائع اللبن قد أطلق سراحه. وكانت الشرطة تبحث حالياً عن رجل يدعى ريتشارد هاناى! ويعتقدون أنه قد هرب بالقطار، ورحل إلى اسكتلندا.

كنت سعيداً أن بائع اللبن قد أطلق سراحه. إنه لا يعرف شيئاً عن جريمة القتل، ولقد أعطيته جنيهاً ذهبياً واحداً فقط. ولقد قبض عليه وأرسل إلى سجن من أجل ذلك!

توقف القطار عند محطة تعرفت عليها. إنه نفس المكان الذى نزلت فيه الليلة السابقة. لقد وصل قطار آخر لتوه من دومفريز، ونزل منه ثلاثة رجال. كانوا يتحدثون مع رجال السكة الحديد والطفل. فراقبتهم بعناية. كان الطفل يشير إلى الطريق الذى قد سلكته.

وأقلع القطار ثانية. وأثناء تحركه من المحطة، غطيت وجهى بالصحيفة. وقد قطع ميلاً تقريباً عندما توقف ثانية فجأة. ولم نكن فى المحطة، بل كان القطار بالقرب من جسر فوق نهر.

وكانت هذه فرصتى وغيرت خططى على الفور. ففتحت الباب وقفزت. كانت فكرة جيدة لولا أننى نسيت الكلب. فعندما

قفزت، حاول الكلب أن يتبعني. واستيقظ الرجل الشيخ واندفع للباب، وصاح:

- النجدة! النجدة!

فركضت نازلاً إلى ضفة النهر واختفيت بين الشجيرات هناك. وقد جاء محصل التذاكر وعديد من الناس ورائي وكانوا يقفون في العراء. وأخذ رجل يشير إلى ضفة النهر.

لكن فرصة حظ أنقذتني. لم ألحظ أن الكلب كان مقيداً بالرجل فبعدما قفزت فجأة قفز الكلب وجر الرجل المسن معه بعنفاً. وتدحرجا إلى الضفة، ونسيني الجميع لبرهة.. وتم إنقاذ الرجل المسن، لكن في حالة الإثارة هذه عض الكلب أحدهم. أخذت فرصتي وهربت بين الشجيرات.

وعندما تطلعت خلفي، كانت حالة الفوضى قد انتهت. وصعد الناس إلى القطار ثانية وبدأ يتحرك على الفور.

ومشيت على طول ضفة النهر وفكرت في مشكلتي. كانت في أمان لكني كنت خائفاً أيضاً. لا أقصد أني كنت خائفاً من الشرطة. كنت أفكر في أعداء سكودر وخططهم التي أعرفها. شعرت يقيناً أنهم يحاولون قتلي أو الزج بي في السجن. كانوا نظراً علي، ولا أستطيع أن أخفي فزعي. فمشاكلي لم تنته بعد.

تسلقت مبتعداً عن النهر حتى وصلت إلى قمة تل. كانت هناك تلال أخرى من حولي، وكنت أستطيع أن أرى بوضوح لمدة أميال. كانت هناك محطة السكة الحديد وكوخ أو اثنان. وكان الغبار يتصاعد تجاه الشرق وذلك يعني وجود طريق. ثم تطلعت إلى أعلى في السماء الزرقاء، وكاد قلبي يتوقف عن النبض.

كانت طائرة صغيرة تطير في اتجاهي. وعلمت على الفور أن أعداء سكودر كانوا في تلك الطائرة. لم تستخدم الشرطة البريطانية أبداً طائرة للبحث عن الناس.

وتدحرجت خلف صخرة وأخذت أراقب الطائرة. وطارت في طول ضفة النهر في دوائر ضيقة. كانت منخفضة للغاية لدرجة أنني استطعت أن أرى قائدها. لكنني كنت متأكداً أنه لم يرني. ثم تسلقت فعادت وطارت فوق النهر مرة أخرى وعادت إلى الجنوب.

وقررت في الحال أن أغادر تلك التلال. ولا يوجد مكان لأختبيء فيه. وسيجدني الأعداء في الحال إذا نظروا على من السماء.



انك صغير على ان تكون مدير فندق، اليس كذلك؟

وفى الساعة السادسة وصلت الطريق. فتبعته لعدة أميال. وبدأ الظلام يقترب عندما جئت إلى منزل بجانب جسر. واندهشت أن أجد منزلاً واحداً قائماً وحيداً في هذه الأرض الموحشة. وكان شاباً واقفاً على الجسر يقرأ، فقال:

- مساء الخير، إنها أمسية جميلة، أليس كذلك؟

فأجبت:

- نعم، فعلاً، هل هذا المنزل فندق؟

- نعم يا سيدى، وأنا مدير الفندق. هل تحب النزول هنا الليلة؟

- إنك صغير على أن تكون مدير فندق، أليس كذلك؟

- فعلا، لقد توفى والدى العام الماضى وترك لى هذا الفندق. وأنا أعيش هنا مع أمى، لكنى لا أحب العمل على الإطلاق. أود لو أننى أكتب قصصاً، لكن عن ماذا أكتب؟ فأنا لا أقابل كثيراً من الناس المهمّين.

وفجأة خطرت لى فكرة أن هذا الشاب يمكن أن يساعدنى، فقلت:

- سأروى لك قصة، وهى قصة حقيقية أيضاً. إنى فى حاجة لصديق. وسأروى لك هذه القصة لكى أحصل على مساعدتك.

وسأعطيك الإذن بنشرها، لكن لا تفعل أي شئ قبل الخامس عشر من يونيو. فذلك تاريخ هام جداً.

ثم جلست على الجسر ورويت له القصة. وانصت باهتمام، وكانت عيناه تلمعان من الإثارة.

قلت:

- أنا مزارع من روديسيا، وجئت لبريطانيا منذ بضعة أسابيع. وسافرت بالباخرة من غرب إفريقيا الألمانية. ولاعتقد الألمان هناك أنني جاسوس. وتبعوني طول الطريق إلى بريطانيا. ولقد قتلوا بالفعل أفضل صديق لي، والآن يحاولون قتلي. هل قرأت صحف اليوم.

فأومأ.

- إذن، تعلم عن جريمة قتل فرانكلين سكودر.

فأومأ الشاب ثانية، واتسعت عيناه.

- كان أعز أصدقائي، ولقد قتل في شقتي.

وقلت له أن سكودر كان يعمل لوزارة الخارجية. وشرحت أنه كان يعرف بعض أسرار الألمان. كانت قصة طويلة موفقة بإضافة بعض المشوّقات.



كانت تطير منخفضة في اتجاه الجسر.

وفي النهاية قلت:

- إنك تبحث عن مغامرة، أليس كذلك؟ حسن لقد عثرت عليها الآن. وهؤلاء الجواسيس الألمان قد يأتون إلى هنا، وأريد أن أختبيء منهم.

فأخذ ذراعي بأدب وصحبني تجاه الفندق وقال:

- ستكون في أمان هنا يا سيدي. لابد أن تروي لي مغامراتك أيضاً، وسأكتبها كلها.

- وهو كذلك. لكني لدي بعض العمل لابد أن أقوم به أولاً. لقد أعطاني سكودر رسالة مطولة بالشفرة. ويجب أن أحل رموزها واكتشف معناها.

وأثناء ذهابنا إلى الفندق، سمعت الطائرة مرة أخرى. كانت تطير منخفضة في اتجاه الجسر.

حصلت على حجرة هادئة في خلف المنزل. وكانت أم مدير الفندق تحضر لي وجباتي.. وناسبني المكان جداً.

وفي الصباح التالي أخرجت مفكرة سكودر وبدأت العمل. كانت الشفرة في غاية الصعوبة وكان علي أن أحاول الكثير من كلمات السر الممكنة. وعلى الظهر كنت قد عثرت على المسافات بين الكلمات لكني لم أستطع اكتشاف الحروف.

وبعد الغداء حاولت ثانية واشتغلت باجتهاد حتى الساعة الثالثة. ثم فجأة سنحت لي فكرة. كانت مضطجعاً في كرسي عندما جاء اسم سيدة لرأسي. وكانت چوليا زينشيلي. لقد قال سكودر إنها كانت واحدة من ألد أعدائه. ربما كان اسمها هو كلمة السر. وحاولته بسرعة على الشفرة ونجح.

«چوليا» تتكون من خمسة حروف، ولقد استخدم سكودر هذه الحروف بدلاً من الحروف المتحركة. وحرف الـ چـ هوالحرف العاشر في اللغة الإنجليزية وهكذا استخدم الرقم ١٠ بدلاً من أ... وهكذا.

والاسم «زينشيلي» أعطاني أرقاما أخرى، وبعدها استطعت قراءة مفكرة سكودر في الحال. وجلست في حجرتي أعمل في صمت لبقية النهار.

وكانت الحقائق في مفكرة سكودر الصغيرة فظيعة. وعندما أحضرت السيدة الشاي لي، كنت إنساناً عصبياً جداً. وكان وجهي يبدو شاحباً ولم أرد أن أتناول شيئاً.

فسألت:

- هل أنت بخير يا سيدي؟ تبدو شاحباً جداً.

قلت:

- أوه، هذا لا شيء. من فضلك ضعي الأشياء على المنضدة.

كانت توجد ضجة مفاجئة خارج الفندق، وغادرت السيدة الحجرة. وسمعت سيارة تقف ثم عدة أصوات خافتة.

واندفع مدير الفندق بعد دقائق إلى حجرتي، وقال:

- لقد وصل رجلان وهما يبحثان عنك. لقد وصفاك لي جيداً.

-وماذا قلت لهما؟

- قلت لهما إنك نزلت هنا ليلة أمس وإنك غادرت مبكراً هذا الصباح.

- هل بمكانك وصفهما؟

- واحد منهما رجل نحيل له عينان داكنتان، والثاني سمين بعض الشيء.

- هل يتكلمان مثل الإنجليز؟

فلوماً قائلاً:

- أوه نعم، أعتقد ذلك.

فالتقطت قصاصة ورق وكتبت بسرعة باللغة الألمانية:

«... الحجر الأسود. لقد سمع سكودر عن هذا، لكنه لم يستطع عمل أي شئ حتى الخامس عشر من يونيو. خطط كاروليدس غير أكيده، وقد لا أستطيع المساعدة. لكن إذا مستر (ت) ينصح بذلك، فسأحاول...».

وعندما كتبت الرسالة، مزقت طرف الورقة. وأصبحت كأنها رسالة ممزقة مؤقت:

- اعط هذه لهما، قل لهما إنك وجدتها في حجرتي.

وبعد ثلاث دقائق أخذ الرجلان السيارة ورحلا. وظهر مدير الفندق في نشوة عظيمة، وقال:

- لقد وقعت عليهما ورقتك وقع المفاجأة. تحول الرجل الأسمر إلى اللون الشاحب، وبدا على الرجل السمين الغضب الشديد. ودفعا ثمن مشروباتهما ورحلا في الحال.

قلت:

- أريدك الآن أن تفعل شيئاً لي. خذ دراجتك واذهب بها إلى الشرطة في نيوتون - ستيوارت. صف الرجلين وتحدث عن جريمة لندن. ويمكنك اختلاق الأسباب. يمكنك أن تقول أنك



ومال على الرجل السمين: الغضب الشديد

سمعت حواراً بينهما. واحد منهما قال للآخر بأنه قد خرج لتوه من السجن. وقل أيضاً إنك سمعت اسم سكودر. فالصيد لم ينته بعد. فهذان الرجلان سيعودان صباح الغد، ولابد من وجود الشرطة هنا للقبض عليهما.

وانصرف في الحال. وواصلت أنا عملي في مفكرة سكودر. وكانت الساعة السادسة عندما عاد، فقال:

- كل شيء على أحسن ما يكون. رجال الشرطة سيكونون هنا في الساعة الثامنة صباحاً.

وتناولنا الطعام سوياً، وكان علي أن أروي له مغامراتي مرة أخرى. وأخذ بها ملاحظات خلال العشاء. لم أستطع النوم تلك الليلة. أنهيت مفكرة سكودر ثم جلست متيقظاً في كرسيّ الوثير حتى الصباح. كنت أفكر في قصة سكودر الغامضة.

وفي الساعة الثامنة صباحاً وصل ثلاثة من رجال الشرطة إلى الفندق. وقابلهم مدير الفندق وذهب بهم إلى الجراج. وتركوا سيارتهم هناك ثم جاءوا داخل الفندق.

وبعد عشرين دقيقة ظهرت سيارة أخرى ووقفت على بعد مائتي ياردة من الفندق. كنت أراقب من النافذة فوق الباب

لأمامي. سارت السيارة إلى أن وصلت تحت بعض الأشجار. ينزل رجلان منها وسارا نحوالفندق.

لم تكن الخطة التي رسمتها من الخطط الجيدة. كنت أتمشم أن تقف رجال الشرطة على الرجال. وإذا فعلوا ذلك، فسوف أكون ميتاً تماماً.

لكن الآن أصبحت لدي فكرة أفضل. فكتبت ملاحظة لمدير الفندق وتركتها في حجرتي. ثم فتحت نافذتي وتسللت منها بهدوء إلى بعض الشجيرات في الحديقة. وركضت عبر الحديقة ثم على طول طرف الحقل. وبعد بضع دقائق وصلت للأشجار.

ولم أضيّع لحظة واحدة. كانت السيارة تقف هناك، فقفزت داخلها. وشغلت الموتور وانطلقت.

وحمل الريح ضجة الأصوات الغاضبة إلى أذني. لكني، على الفور، كنت أقود السيارة على طول ذلك الطريق بسرعة خمسين ميلاً في الساعة.



٤.المغامرة مع سير هاري

كان صباحاً جميلاً، لكني لم أكن أفكر في الطقس الجميل أو المناظر التي من حولي. كانت أفكاري كلها منصبّة على سكودر وملاحظاته..

لقد كذب على الرجل. لقد تكلم كثيراً عن كاروليديس وكان جزء منه حقيقياً. لكنه لم يخبرني بالأشياء الهامة. ولا ألوم سكودر في عدم إخباري بالأسرار الحقيقية. ربما كان خائفاً أن يخبر أي أحد. بالطبع كان كاروليديس في خطر، لكن الخطر على أوروبا كلها كان أعظم! كان هذا هو السر الحقيقي الذي قد أخفاه سكودر في مفكرته الصغيرة.

ظهرت الكلمات «درجات السلم التسع وثلاثون» عدة مرات في مذكراته.

أخذت أحسبها بدقة. كما خرجت بهذه الجملة: المد العالي هناك في العاشرة وسبع عشر دقيقة.

وأخذت أتساءل عن معنى ذلك. لابد أن «السلالم التسع وثلاثون» موجودة في مكان على الساحل. فكلمة «مد» تثبت ذلك، لكن لماذا كانت مهمة؟

لقد كتب سكودر أن الحرب أكيدة ولا أحد يستطيع أن يوقفها. وأن خطط الألمان جاهزة من فبراير ١٩١٢. قد يقتلون كاروليديس في الخامس عشر من يونيو، ويكون موته حجتهم.

وكتب:

- سيتحدث الألمان عن السلام في أوروبا، لكنهم لا يريدون السلام. إنهم مستعدون للحرب وسوف يهاجموننا فجأة.

ولقد كتب سكودر أيضاً عن زيارة ضابط فرنسي كبير بلندن. كان رئيس الجيش الفرنسي وكان سيأتي في الخامس عشر من يونيو.

- سيبلغ هذا الضابط بالخطط البريطانية وسيعود إلى فرنسا.

ولقد أضاف سكودر إن الحجر الأسود سيكون أيضاً في لندن في ذلك اليوم. سوف يعرفون الخطط أيضاً وسيبعثون بها فوراً إلى ألمانيا.

وقدت السيارة عبر قرى جالواى الجميلة. كانت منطقة جميلة من اسكتلندا. لكنى لم أستطع الاستمتاع بالسلام المحيط بى فى كل مكان.

كان علىّ أن أهرب من أعدائى وأتلال على قيد الحياة. كما كان علىّ أن أنتظر حتى تسنح الفرصة لمساعدة سكودر. لكن الأمر سيكون صعبا جدا. فالشرطة والحجر الأسود كانوا يقتفون أثرى، وليس لى أصدقاء فى اسكتلندا.

وعند الظهر جئت إلى قرية كبيرة. وكنت جائعا فقررت الوقوف. ثم لاحظت رجل شرطة. كان واقفا خارج مكتب البريد يقرأ برقية.

عندما رأى سيارتى، رفع يده وركض إلى وسط الطريق، وصاح:

- قف! قف!

وأصبحت فجأة مرتابا، وعرفت أن البرقية كانت بخصوصى. لقد حدث أمر ما فى الفندق، وربما قد اتفقت الشرطة مع الجواسيس. لقد وصفونى ووصفوا السيارة، وأرسلت الشرطة برقيات لجميع القرى.



فضربته بشدة حتى انه سقط للخلف.

لم أقف، فمد الشرطي يده وركض بجانب السيارة وأمسك بذراعي عبر النافذة، التي كانت مفتوحة. فضربته بشدة حتى أنه سقط للخلف.

وانطلقت بالسيارة إلى الريف مرة أخرى، سالكاً الطريق الضيق. وتسلقت تلالاً عديدة فوق وادي عريض. كنت مرهقاً وجائعاً فبدأت أبحث عن فندق هادىء، حيث أستطيع أن أحصل على قسط من الراحة. لكن فجأة انبعثت ضجة من فوقي فنظرت إلى أعلى. كانت الطائرة على بعد بضعة أميال، تطير في اتجاهي.

وانطلقت نازلاً التل بين الأشجار والأدغال المرتفعة. وخرجت سيارة من طريق ضيق جانبي ولم أستطع الوقوف. فسحبت عجلة القيادة جهة اليمين بشدة وأغلقت عيني.

اندفعت سيارتي وسط الشجيرات وبدأت تسقط. ورأيت قاع الوادي على بعد خمسين قدماً. فقفزت من السيارة، وتدحرجت في دغل صغير. وسمعت ضجة فظيعة حيث إن السيارة انقلبت عدة مرات. ثم تمددت مثل كوم من الخردة القديمة في قاع الوادي.

أخذ شخص ما يدي وسحبني من الداخل. وقال صوت رحيم:

- هل أصبت بأي أذى؟

وكان شاباً طويلاً واقفاً بجانبي، فقال:

- أنا آسف جداً لما حدث، رأيت سيارتك لكن لم يستطع أي منا الوقوف في الوقت المناسب. أتمنى أن تكون على ما يرام. لكنك شاحب الوجه.

كنت سعيداً بالحدث رغم الفزع. فالشرطة كانت تبحث عن السيارة، كذلك كنت لن أستطيع الترحال بها طويلاً.

قلت:

- إنها غلطتي ياسيدي. ما كان يجب علي أن أقود بسرعة في هذه الطرق الضيقة. حسن، تلك السيارة لن تستخدم ثانية مطلقاً. هذه هي نهاية عطلتي الاسكتلندية، لكن يجب علي أن أكون سعيداً. لقد كدت أن أفقد حياتي.

فقال للمرة الثانية:

- إني في غاية الأسف فعلاً.

ونظر إلى ساعته واستمر قائلاً:

- هناك وقت لنذهب إلى منزلي. يمكنك تغيير ملابسك، وتأكل شيئاً هناك. أين حقيبتك؟ هل هي تحت في السيارة؟

- لا. كل حاجياتي في فندق على بعد أربعين ميلاً.

كنت أتساءل ترى ماذا أقول له عن نفسي. لم أكن أريد أن أقول أنني روديسي. فاسمي قد ظهر في الصحف. والشرطة تعرف أنني جئت من روديسيا. وربما هذا الرجل يخمن الحقيقة إذا قلت أي شئ عن روديسيا. لذلك قررت أن أكون أستراليا. قد قرأت كثيراً عن استراليا. ولابد أنني أقدر على الكلام عن هذا البلد إذا سألني أي أسئلة ولن يكتشف الحقيقة أبداً.

وأردفت قائلاً:

- أنا استرالي ولا أحمل مطلقاً كثيراً من الملابس معي.

فصاح:

- استرالي. حسن، أنا أسعد رجل في اسكتلندا!

إنك توافق على التجارة الحرة طبعاً.

فأجبت بسرعة:

- أوافق.

لكني لم أكن متأكداً ماذا يقصد، فقال وهو يأخذ بذراعي ويسحبني نحو سيارته:

- شئ جميل.. التجارة الحرة هي أفضل شئ لبريطانيا. حسن، ستستطيع مساعدتي هذا المساء.

وبعد ثلاث دقائق وصلنا المنزل. فأخرج ثلاث أو أربع من بذلاته وبسطهم على السرير فاخترت بذلة زرقاء داكنة وارتديتها واقترحت أيضاً أحد قمصانه، ثم أخذني إلى المطبخ.

كانت على مائدة المطبخ بعض المأكولات، فقال:

- إذا لم نسرع، فسوف نتأخر.. كل شيئاً الآن وخذ معك بعض الطعام. وعندما نعود الليلة، سوف نتناول وجبة طيبة. علينا أن نكون في برانتبورن على الساعة السابعة.

أكلت بعضاً من اللحمة الباردة وشربت فنجاناً من القهوة. ووقف الشاب بجوار المدفأة وأخذ يتكلم:

- لقد جئت في الوقت المناسب يا مستر... أوه، معذرة. إنك لم تخبرني باسمك.

قلت:

- تويسدون.

- آه، تويسدون. حسن، أنا في مأزق، يا مستر تويسدون، وأود لو أن تساعدني. يوجد اجتماع عام الليلة في برلتبورن، وعليَّ أن ألقي خطبة عن السياسة. وأنا المرشح الليبرالي عن المنطقة جالواي، وبرلتبورن هي بلدتي الرئيسية. حسن، لقد أعددت كل شيء من أجل الاجتماع، وكرومادن رئيس الوزراء الليبرالي القديم كان سيلقي الخطبة الرئيسية. لكني استلمت برقية منه بعد ظهر اليوم يقول فيها أنه مريض ولا يستطيع الحضور. ذلك يعني أنني لابد أن ألقي الخطبة الرئيسية بنفسي.

قلت:

- حسن، إنك أنت المرشح، فلابد أنك قادر على إلقاء الخطبة.

- أوه، أستطيع أن ألقي خطبة قصيرة بشكل جيد، لكن عشر دقائق تكفي تماماً بالنسبة لي. والآن، تويسدون أرجو أن تساعدني. يمكنك أن تقول لهم كل شئ عن التجارة الحرة وعن أستراليا.

لم أكن أعرف أي شئ عن التجارة الحرة، لكني كنت أحتاج لمن يساعدني أنا أيضاً. وربما كانت هذه هي الفرصة.

قلت:

- وهو كذلك. أنا لست خطيباً مفوهاً ولكن سأتكلم مع أصدقائك عن أستراليا.

وتركنا المنزل وانطلقنا في اتجاه برانكسهورن. وفي الطريق أخبرني الشاب بعض أشياء عن نفسه. وكانت إحدى هذه الحقائق مفيدة جداً.. فوالده ووالدته قد توفيا. وهو يعيش عادة مع عمه، الذي كان السكرتير الأول لوزارة الخارجية.

كان هذا خبراً مثيراً لأن السكرتير الأول يعتبر رجلاً هاماً.

وكنت أريد مقابلته. فتمنيت أن يستطيع هذا الشاب أن يفعل شيئاً من أجلي.

وقاد السيارة عبر بلدة صغيرة حيث أوقف السيارة رجلان من الشرطة. وسلطا مصباحيهما على وجهينا، وشعرت بالاضطراب الثانية. كنت أخشى أن يقبضا علي.

قال أحد الضابطين:

- أنا آسف، سير هاري. إننا نبحث عن سيارة معروفة واعتقدناها هذه.

قال سير هاري ضاحكاً:

- أوه، لا يهم.. لا يهم. إن سيارتي عتيقة لا تشجع أحداً أن يسرقها.

ووصلنا المسير.

كانت الساعة السابعة إلا خمس دقائق عندما بلغنا برانتابورن. وأوقف سير هاري السيارة خارج مجلس المدينة، ودخلنا. وكان يوجد حوالي خمسمائة شخص في المجلس.

وقف أحد السادة وألقى خطبة قصيرة. وشرح أن مستر كروبكون كان مريضاً ولا يستطيع الحضور.

واستمر قائلاً:

- لكننا محظوظون في برنتابورن هذه الأمسية. يوجد معنا هذا متحدث عالم شهير من أستراليا. لكننا سنستمع أولاً للمرشح الليبرالي عن برانتابورن.

بدأ عندئذ سير هاري كلمته. وكان معه في يده حوالي خمسين صفحة من المذكرات وشرع يقرأ منها. وكانت خطبة فظيعة، وشعرت بأسف شديد من أجله. وأحياناً كان يرفع بصره عن الورق، ثم لا يستطيع أن يقول شيئاً. ونسي أكثر من مرة

موضوع الحديث لكن تذكر بضعة جمل من كتاب. وكررها مثل طالب المدرسة. وكانت أفكاره خاطئة تماماً. تكلم عن الخطر الألماني وكدت أن أضحك عالياً.

قال:

- لا يوجد خطر ألماني على الإطلاق. لقد اخترعته الحكومة. فالألمان يريدون السلام، ونحن لا نريد جيشاً كبيراً. إننا نضيع المال العام على الأسلحة والبوارج الحربية.

وفكرت في مفكرة سكودر السوداء الصغيرة! كانت خطط الألمان الحربية جاهزة وهم ليسوا مهتمين بالسلام.

وتحدثت بعد سير هاري وتكلمت عن أستراليا.

وصفت البلد وسياساتها وخططها وعمل الحكومة الليبرالية. وأنصت الناس بأدب وكانوا يحيونني أحياناً بالتصفيق. لكني نسيت كل شئ عن التجارة الحرة!

وتم شكر المتحدثين في نهاية الاجتماع. وعدنا أنا وسير هاري إلى السيارة وخرجنا من براتليبورن.

قال:



وكانت خطبة فظيعة ، وشعرت بأسف شديد من اجله

- كانت خطبتك رائعة يا تويدون، واستمتعوا بها. هل سمعتهم وهم يهللون عندما قلت كلمة «ليبرالي»؟ وشرحتها بأنه التحرى المزيد للنظم الديمقراطية والإصلاحات الاجتماعية. والآن سوف نعود للبيت ويمكننا أن نتناول وجبة شهية. أريدك أن تبقى في بيتي الليلة. وبعد العشاء في تلك الليلة جلسنا بجانب النار وتحدثنا.

قلت:

- اسمع يا سيرهارى، أريد أن أقول لك شيئاً وهو هام جداً. إنك رجل طيب، ولذلك لن أخفى أى شئ عنك. لقد كانت خطبتك كلها خطأ.

فنظر في إندهاش شديد، وقال:

- خطأ؟ تقصد بخصوص الخطر الألماني؟ هل تظن أنهم سيهاجموننا؟

قلت:

- قد يهاجموننا الشهر القادم. والآن استمع لهذه القصة منذ بضعة أيام قتل جاسوس ألماني أحد الأصدقاء في لندن...

ما زلت أتذكر ضوء النار الساطع في حجرة سيرهارى. اضطجعت على الكرسي الكبير وأخبرته بكل شئ. وكررت كل

مذكرات سكودر بل تذكرت أيضا موضوع السلالم التسع والثلاثون والمد. ووصفت مغامراتي عم بائع اللبن والشرطة في الفندق.

ثم قلت:

- الشرطة تحاول القبض على بسبب جريمة القتل. لكنى أستطيع أن أثبت أننى لم أقتل سكودر. والحقيقة أننى خائف من هؤلاء الجواسيس الألمان. إنهم أبرع وأكثر حكمة من الشرطة. وإذا قبضت على الشرطة، فستقع حادثة. وسأحصل عل سكين في قلبى، مثل سكودر.

كان سير هارى يتطلع إلى بحذر، وهو يسألنى:

- هل أنت رجل عصبى يا مستر هاناى؟

ولم أجب عليه في الحال. ولكنى أخذت سكينا ثقيلاً من الحائط وقمت بأداء حيلة روديسية قديمة له. فألقيت السكين إلى أعلى والتقطتها من الهواء في فمى، وقلت:

- لقد تعلمت القيام بهذه الحيلة منذ سنوات عديدة. لكن أى رجل عصبى لا يستطيع القيام بها.

فابتسم وقال:

- وهو كذلك يا هاناى. لا داعي أن تثبت ذلك. قد لا أعرف الكثير عن السياسة لكنى أستطيع أن أعرف الرجل الشريف. إننى أصدق ما قلت. قل لى ماذا أستطيع أن أفعل لأساعدك..

- حسن، إن عمك هو السكرتير الأول بوزارة الخارجية وسيقدر أن يفعل شيئاً. أريدك أن تكتب رسالة له. لتطلب منه إذا أمكن أن أقابله قبل الخامس عشر من يونيو.

- وأى اسم سأقول؟

- تويسدون. من الأسلم أن ننسى اسم هاناى.

وجلس هارى أمام منضدة، وكتب هذه الرسالة:

«عمي العزيز..

لقد أعطيت عنوانك إلى رجل يدعى تويسدون يريد مقابلتك. ويأمل أن يراك قبل الخامس عشر من يونيو. كن كريماً معه، من فضلك، وصدق قصته.

وعندما يأتى، سيقول العبارة «الحجر الأسود». وسيغنى بضعة أسطر من «أنيالوريا».

قال سير هارى:

- حسن، هذا يبدو معقولاً، واسم عمي سير والتر بوليفانت، وبيته قرب أرتكسدويل على نهر كينيت. والآن، ماذا بعد؟

قلت:

- هل يمكنك أن تعطيني طقم ملابس قديم؟ وخريطة لجالوى. فالشرطة قد تأتي هنا للبحث عني، ويمكنك أن تريهم السيارة في الوادي. لكن لا تخبرهم أي شئ.

- وإذا جاء الجواسيس، ماذا أقول لهم؟

- قل أنني ذهبت إلى لندن.

وأحضر سيرهاري الملابس وخريطة جالوي. ونظرت إلى الخريطة بعناية ولاحظت خط السكة الحديد المتجه للجنوب.

قال سير هاري، مشيراً للخريطة:

- هذا هوالجزء الموحش من البلد. اذهب في هذا الطريق ثم اتجه يميناً. يجب أن تصعد تلك التلال قبل الإفطار. ستكون في أمان هناك لكن يجب أن تسافر للجنوب في الثاني عشر أو الثالث عشر من يونيو.

وأعطاني دراجة قديمة وفي الساعة الثانية صباحاً غادرت المنزل.

وفى الساعة الخامسة أشرقت الشمس، وكانت قد قطعت حوالى عشرين ميلاً. وكانت التلال المرتفعة والوديان الواسعة الخضراء من حولى من كل جانب.



٥.عامل الطريق الذي يرتدي النظارة

ارتحت بعض الوقت فوق قمة أحد التلال. كان الطريق يخترق مسافة مسطحة أمامي ثم يهبط بعد ذلك إلى الوادي. وكان البيت قائماً بين الحقول في هذا الوادي، لكن لا توجد علامات أخرى للحياة. كنت متعباً جداً فرقدت وأغلقت عيناي.

كانت الساعة السابعة عندما أيقظني صوت. إنه صوت الطائرة ثانية. ولم أتحرك. كانت تطير فوق التلال في دوائر ضيقة. وفي الدقيقة التالية استدارت نحوي، واستطعت أن أرى الطيار والرجل الآخر. وكلا الرجلين كانا ينظران إلي. وشعرت أنهما قدتعرفا علي. ثم ارتفعت الطائرة بسرعة، وطارت بعيداً إلى الشرق.

كان لابد أن أهرب من ذلك المكان فوراً. فقد يعود أعدائى ويتقبون التلال. لقد رأوا دراجتى بطبيعة الحال، لهذا كان لابد أن ألقى بها.

تركت الطريق وجررت الدراجة حوالى خمسين ياردة. ثم لاحظت حفرة مملوءة بالماء فألقيت الدراجة فيها.

كان اليوم دافئاً صحواً وكدت أرى الطريق المتجه للشرق وللغرب. وكان لا يوجد شئ عليه. لكنى كنت متأكداً أن أعدائى سوف يأتون هابطين إلى ذلك الطريق. لذلك سرت عبر التلال للشمال.

وبعد فترة تطلعت خلفى عبر الوديان على كلا الجانبين. كان نظرى قوياً جداً، فرأيت بعض الرجال عن بعد. كانوا جميعهم قادمين تجاه الأرض المرتفعة.

ركضت للأمام لكنى لم أبتعد كثيراً. وكان هناك مزيد من الرجال فى المقدمة، يبحثون فى الوادى التالى. فكرت:

- لن أستطيع الابتعاد عن هنا. وإذا حاولت الهرب، فسوف يرونى. لذلك يجب أن أظل فى الأرض المرتفعة وأختبىء فى أى مكان.

ركضت على طول قمة التل فوصلت للطريق ثانية. فاتجهت إلى ناصية الطريق وهناك وجدت عامل الطريق.

كانت أدواته ملقاة بجانبه وكان مستعداً للعمل. لكنه كان يتحرك ببطء شديد.

ونظر إلى أعلى عندما اقتربت، وقال:

- هذا عمل شاق، ولا أستطيع القيام به اليوم. فأنا أشعر بالإعياء، وهذه هي الحقيقة.

كان وحشي المنظر يرتدي نظارة كبيرة. وكانت عيناه حمراوين.

فسألت، وكنت أعرف الإجابة.

- ما الأمر؟ إنك تقوم بهذا العمل كل يوم، أليس كذلك؟ فلماذا لا تستطيع أن تقوم به اليوم؟

فأجاب:

- صحيح، لكن ابنتي لا تأتي من لندن كل يوم. لقد جاءت للبيت بالأمس وأقمنا حفلة الليلة الماضية.

وخلع نظارته ثم استمر:



لقد شربت كثيرا الليلة الماضية وراسى يؤلمنى جدا.

- لقد شربت كثيراً الليلة الماضية ورأسي يؤلمني جداً.

قلت:

- أنا آسف، فالسرير هو أفضل مكان لك حالياً.

- آه، لكن هذا ليس سهلاً. قد حصلت على بطاقة بريدية بالأمس. إن ملاحظ الطرق الجديد سيأتي ليرى هذا العمل اليوم. إذا ذهبت لسريري في البيت، فلن يجدني هنا. وعندئذ سأفقد وظيفتي.

وفجأة خطرت لي فكرة مدهشة، فقلت:

- اسمع، ربما أستطيع أن أساعدك. إذا كنت ما زلت تشعر أنك مخموراً ولاتستطيع العمل، فعليك أن تذهب لفراشك. هل الملاحظ الجديد يعرفك جيداً؟

- لا. إننا لم نتقابل مطلقاً، لكني سمعت عنه. إنه يتنقل بسيارة صغيرة.

فسألت:

- أين منزلك؟

فأشار إلى كوخ في أسفل الوادي بين الحقول.

- حسن، عد إلى فراشك ونم في سلام. سأقوم بعملك اليوم. إذا كان الملاحظ لا يعرفك، فهو لن يعرفني أنا أيضاً.

تطلع إلي وضحك، ثم قال:

- حسن، إنك رجل ظريف جداً. سيكون العمل سهلاً، فلا حاجة لأن تعمل كثيراً.

وأشار إلى كومة من الحجارة ومطرقة، وقال:

- لقد كسرت تلك الحجارة بالأمس، ولا حاجة لك أن تكسر أكثر من ذلك. خذ عربية اليد وانزل أسفل الطريق. واستمر حتى تأتي إلى كومة من الصخور. فأت بها إلى هنا بعربة اليد. اسمي الكسندر تيريول لكن أصدقائي يسمونني أبو نظارة. ذلك لأني أرتدي هذه النظارة. وعندما يأتي الملاحظ، لابد أن تتحدث معه بأدب. وتناديه «بسيدي». سيكون سعيداً تماماً عندئذ.



قلت:

- قد يعرف الملاحظ أنك ترتدي نظارة. دعني أقترضها اليوم.

فضحك ثانية وقال:

- حسن، حسن، هذه هي حيلة جميلة.

وأعطانى نظارته وقبعته القديمة المتسخة

وخلعت معطفى وأعطيته له، وقلت:

- خذ هذا للبيت معك، واحتفظ به لى.

ثم تركنى.

وبعد عشر دقائق أصبحت مثل عامل طريق. قد عفرت بنطلونى وحذائى بالتراب. كان بنطلون نيرتبول مربوطاً من تحت الركبة، فربطت بنطلونى بنفس الطريقة. هؤلاء الجواسيس الألمان يلاحظون كل شئ وكنت خائفاً من يدى. كان مظهرهما نظيفاً وناعماً نوعاً ما، لذلك دعكتهما بالطين.

ترك نيربتول طعامه وصحيفة قديمة بجانب الطريق. وكانت الساعة الثامنة وأشعر بالجوع تماماً. لذلك أخذت رغيف الخبز وقطعة الجبن....، وكانت وجبة سريعة كافية.

ثم بدأت عملى الجديد وأخذت أدفع عربة اليد إلى أعلى وأسفل الطريق. وأثناء عملى، تذكرت صديقاً قديماً فى روديسيا. كان رجل شرطة عندما تعرفت عليه. لكنه كان قد مارس أموراً غريبة كثيرة فى حياته. كان غالباً فى خطر وعرف قيمة التنكر الجيد. كان يقول:

ـ لكن التنكر وحـده لا يكفي يا هاتاي. يجب أن تحـاول أن تكون شـخصاً آخـر ويجب أن تصـدق ذلك أنت نفسك. وإذا لم تستطع عمل ذلك، فتنكرك سيفشل.

وهكذا صـدقت حالي أنني كنت عامل الطريق. وأخذت أفكر في حيـاتي وفي وظيفتي. فأنا أعيش في الكوخ الصـغير في الوادي. وابنتي قـد عـادت للبـيت أول أمس ولقـد أقمنا حـفلة. وشربت كثيراً وما زلت أشعر بعدم التوازن. لكن المـلاحظ يريد أن يراني اليوم وكان يجب أن أنتظره.

وعملت لمدة ساعة أو أكثر وأصبحت متحمساً فعلاً. كانت مهمة كلها غبار. وفجأة جاء صوت من الطريق، فرفعت بصري. قد توقفت سيارة صغيرة وخاطبني رجل في مقتبل العمر:

ـ هل أنت الكمسدر تيـرنبـول؟ أنا مـلاحظ الطرق الجـديد، ومكتبي في البلدية في نيوتن ـ ستيوارت. الطريق يبدو على ما يرام هنا يا تيرنبـول. هناك جزء هش على بعد حوالي ميل، ويجب عليك أن تنظف الأطراف. سأمر هنا ثانية الأسبوع القادم. صباح طيب.

وانصرف بسيارته، وشعرت بسعادة غامرة. لقد نجح تنكري بشكل مقنع.



وسأل: ماذا حدث لأبو نظارة؟

وحوالى الساعة الحادية عشر جاء مزارع يقود بعض الأغنام إلى أسفل الطريق، فتوقف عندما رآنى، وسأل:

- ماذا حدث لأبونظارة؟

فأجبت:

- إنه مريض، إننى أقوم بعمله لبضعة أيام.

وعند الظهر جاءت سيارة هابطة الطريق. ومرت بى ثم وقفت على بعد مائة ياردة. ونزل ثلاثة رجال من السيارة ومشوا ببطء عائدين نحوى.

لقد رأيت اثنين منهم من قبل. إنهما اللذان قد زارا فندق جالوای. واحدهما نحيفاً وأسمر والآخر سميناً بعض الشئ. لكنى لم أعرف الرجل الثالث الذى كان أكبر سناً من الآخرين

قال الرجل الثالث:

- صباح الخير. لديك عمل ظريف سهل هنا.

لم أجب فى الحال. أنزلت يدى العربة ووقفت ببطء.

كانوا ينظرون إلى بدقة مرلم يفت عيونهم شيئاً.

، قلت:

- هناك أعمال أسوأ من ذلك، لكن هناك أيضاً ما هو أفضل. إنى أفضل عملكم وأجلس طول اليوم فى تلك السيارة الكبيرة.

تطلع الرجل الذى تكلم إلى صحيفة تيرنبول وسأل:

- هل تحصل على الصحف كل يوم!

- نعم، أحصل عليها لكنها متأخرة ثلاثة أو أربعة أيام. فالتقط الصحيفة ونظر إلى التاريخ المدون عليها. ثم وضعها ثانية. وكان الرجل النحيف يتطلع إلى حذائى ثم تكلم بعض كلمات باللغة الألمانية. ثم قال الرجل المسن:

- حذاؤك جميل جداً. هل اشتريته من هنا؟

قلت:

لا، هذا الحذاء جاء من لندن. لقد حصلت عليه من السيد الذى كان يصطاد هنا االسنة الماضية. والآن ما هو اسمه؟

وحككت فى أذنى لكى أتذكر اسمه.

وتكلم الرجل السمين باللغة الألمانية، قائلاً:

- هيا نذهب. هذا الشخص لا غبارعليه.

وسألونى علاوة على ذلك سؤالاً واحداً:

- هل مرّ أي شخص من هنا في الصباح الباكر؟ لعله كان يركب دراجته.

فكرت في هذا السؤال للحظة، ثم قلت:

- حسن، لقد تأخرت بعض الشئ هذا الصباح. فالعائلة جاءت لبيت من لندن بالأمس وأقمنا حفلة الليلة الماضية. وفتحت الباب حوالي الساعة السابعة ولم يكن يوجد أحد على الطريق.

ألقى على ثلاثتهم التحية وعادوا إلى سيارتهم. وبعد ثلاث دقائق إنطلقوا بعيداً.

شعرت بسعادة طاغية أنهم رحلوا. لكنني استمريت في العمل. وكان هذا حكيماً لأن السيارة عادت بعدما بقليل. وتطلع ثلاثتهم لي ثانية وهم يمرون.

أنهيت خبز وجبن تيرنبول وعلى الساعة الخامسة أنهيت العمل. لكنني لم أكن متأكداً بخصوص الخطوة التالية. كنت أشعر يقيناً أن أعدائي ما زالوا في المنطقة. إذا مشيت فقد يوقفونني لكن لابد أن أهرب منهم.

قررت أن أنزل إلى كوخ تيرنبول، فعلى أن أعيد أشياءه وآخذ معطفي. وأبقى حتى يأتي الظلام. وآمل عندئذ أن أهرب عبر التلال.

لكن فجأة جاءت سيارة أخرى نازلة الطريق ووقفت. وكان بها رجل بمفرده ونادانى.

- هل لديك ثقاب؟

فتطلعت إليه وتعرفت عليه فى الحال إنها فرصة حظ فعلاً. كان أسمه مارما دوك جوبلى، وقابلته مرة أومرتين فى لندن.

لم أكن أستلطفه. كان يصادق الشبان والسيدات العجائز الأثرياء الذين غالباً ما يدعونه إلى بيوتهم. حسن، جوبلى كان شخصاً هشاً ولا يستطيع أن يؤذينى. .وقررت أن أتصرف بسرعة.

قلت:

- أهلاً جوبلى، أنا مندهش أن أراك هنا.

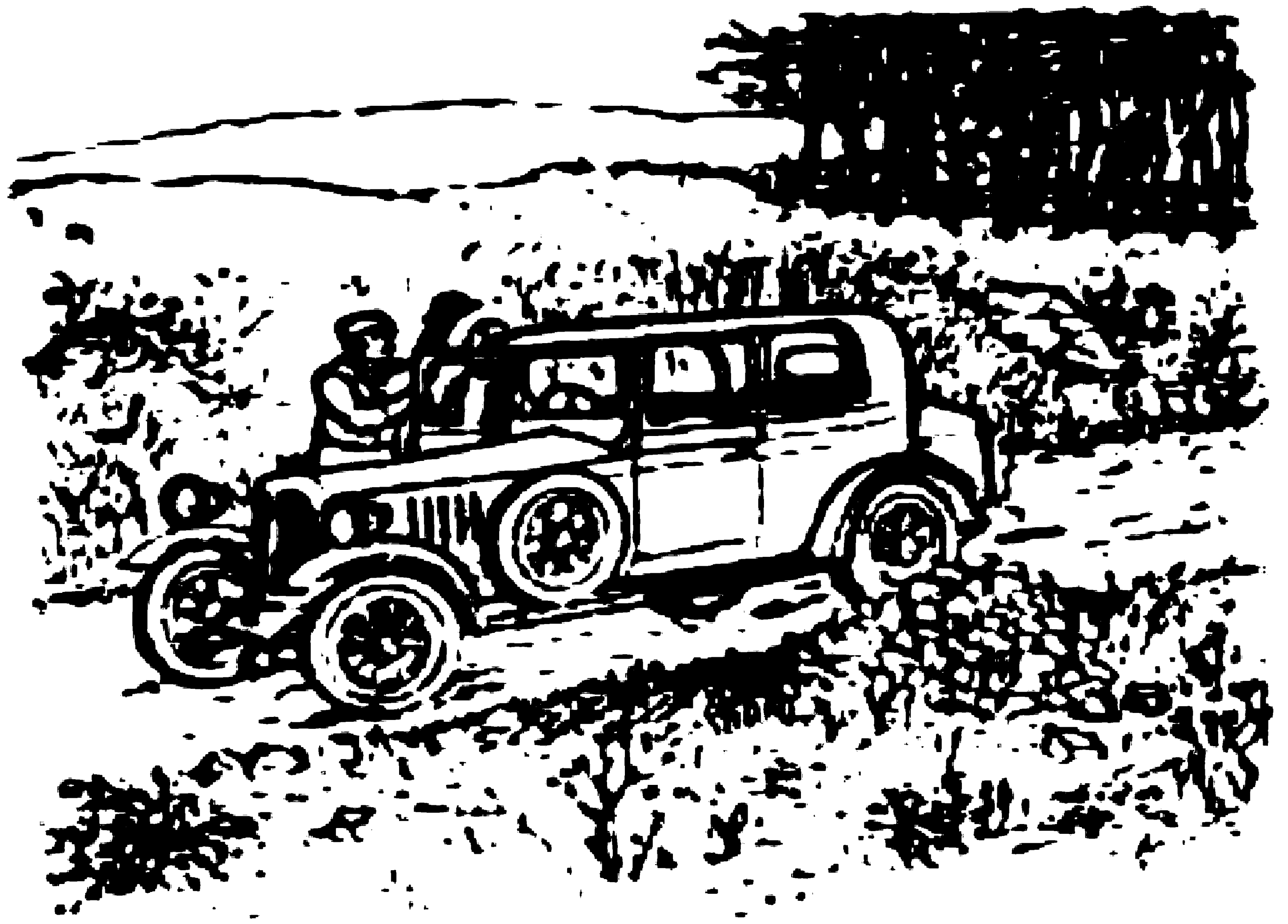
شحب وجهه وسأل فى صوت عصبى:

من أنت؟

قلت:

هاناى، من روديسيا. ألا تذكرنى؟

فصاح:



انها تصلح للتنكر

- هاتاى القاتل!

- بالضبط. والآن لتصت لى. إذا لم نطعنى بسرعة، سأكون قاتل جوبلى أيضاً. أعطنى معطفك وقبعتك.

كان خائفاً جداً فأطاعنى فوراً. وارتديت معطفه الجديد فوق ملابسى المتربة ووضعت قبعته فوق رأسى. ثم أعطيته نظارة تيريلول وقبعته القديمة المتسخة موقلت:

- البس هذه لبضع دقائق. إنها تصلح للتنكر.

وكنت أتساءل أى طريق أسلك. لقد جاء جوبلى من الشرق، وقررت أن أعود من ذلك الطريق. إذا كان أعدائى يراقبون الطريق، فسيتعرفون على السيارة. لكنى لا أعتقد أنهم سيوقفونها. لذلك أدرت السيارة وانطلقت بها.

قلت:

- والآن يا جوبلى، إذا كنت شخصاً طيباً، فلن أؤذيك. لكن لا تحاول أى حيلة من الحيل ولا تتكلم. وتذكر أننى قاتل. وإذا تسببت فى أية مشكلة، فسأقتلك.

وقطعنا ثمانية أميال على طول الوادى. وكان عدة رجال واقفين على التراصى ونحن الاثنان منطلقان بالسيارة. ونظروا

بالاهتمام على السيارة لكنهم لم يحاولوا إيقافنا. وعند الساعة السابعة انحرفت لداخل طريق ضيق، وقدت السيارة ببطء صاعداً التلال.

وأصبحت القرى والأكواخ وراءنا في الحال. وأخيراً أوقفت السيارة في مكان هادىء وتركت له مكان القيادة. وأعطيته معطفه وقبعته وأخذت منه نظارة تيرنبول وقبعته القديمة وقلت:

- شكراً لك على صنيعك هذا. والآن يمكنك أن تذهب وتبحث عن الشرطة.

وانطلقت مبتعداً. ولاحظت ضوء السيارة الأحمر وهو يختفي في الطريق.



٦. مغامراتي مع السيد الأصلع

كانت ليلة باردة وكنت جائعاً جداً. كان تيرنبول لا يزال لديه معطفي وساعتي ومفكرة سكودر كانت في جيب المعطف. أما نقودي فكانت في جيب بنطلوني.

رقدت في وسط بعض الحشائش الطويلة، لكني لم أستطع النوم. وفكرت في كل الناس الذين قد ساعدوني.واعتبرت نفسي رجلاً محظوظاً جداً.

كان الطعام هو مشكلتي الرئيسية. أغلقت عيني ورأيت قطعاً من اللحم السميك على طبق أبيض. تذكرت كل الوجبات الشهية التي أكلتها في لندن. كنت أرفض دائماً الفاكهة بعد الأكل. والآن مستعد أن أدفع خمسة جنيهات مقابل تفاحة.

وقرب الصباح نمت قليلاً لكنني استيقظت ثانية حوالي الساعة السادسة. جلست وأخذت أتطلع إلى أسفل حيث الوادي. فتراجعت للخلف فوراً في دهشة عظيمة.



فزحفت داخل الصدع وبدأت التسلق.

كان بعض الرجال ينقبون الحشائش الطويلة أسفل مني وكانوا يبعدون حوالى ربع ميل فقط.

زحفت بضع ياردات واختبأت وراء صخرة. وهناك لاحظت صدعاً في التل يصل إلى قمته. فزحفت داخل هذا الصدع وبدأت أتسلق. وعندما وصلت القمة، رفعت رأسي ثانية. كان أصدقائي ما زالوا ينقبون الحشائش الطويلة.

وتدحرجت فوق قمة التل إلى الجانب الآخر. لا أحد يستطيع أن يرانى هناك، لذلك جريت لمسافة نصف ميل. ثم تسلقت إلى القمة ثانية ووقفت منتصباً. فرآنى الرجال على الفور،وتحركوا تجاهي. فجريت فوق قمة التل وعدت إلى مكانى الأول. وكان أصدقائي يتخذون الآن الطريق الخطأ، وشعرت بأمان أكثر.

وكانت أفضل خطة لى هى أن اتجه إلى الشمال، واخترت الممر الذي أسلكه بعناية. وبعد قليل كان واد عريض يمتد بيني وبين أصدقائي.

لكنهم عندما اكتشفوا خطأهم، عادوا للخلف مسرعين. ورأيتهم فجأة فوق قمة التل، وبدأوا يصيحون علي. فلاحظت عندئذ أنهم ليسوا أصدقائي الحقيقيين كان اثنان منهم من الشرطة.

فكرت:

- لقد أبلغ جوبلي عني، والآن يبحثون عن القاتل.

نزل رجلان بسرعة وشرعا في التسلق على جانبي من الوادي. وركض رجلا الشرطة عبر قمم التلال إلى الشمال.

وشعرت بالخوف الآن لأن هؤلاء الرجال يعرفون المنطقة. كان لدي ساقان قويان ونفس طويل متوفر لكنني لم أكن أعرف أفضل الممرات.

تركت قمة تلي وجريت نازلاً تجاه النهر وكان هناك طريق بجانب النهر، ولاحظت بوابة على جانب الطريق. فقفزت فوق البوابة وجريت عبر الحقول. وأدى بي ممر إلى طريق محفوف بالأشجار حيث توقفت ونظرت خلفي. وكانت الشرطة ورائي على مسافة نصف ميل.

عبرت جداراً منخفضاً خلف الأشجار ووقفت في ساحة مزرعة من المزارع. وكان منزل المزرعة على بعد حوالي خمسين ياردة.

وكان يوجد مبنى زجاجي بجانب المنزل، وكان سيد جنتلمان، يجلس على مكتبه بالداخل. فنظر إليّ أثناء سيري تجاه المبنى.

كانت الحجرة تعج بالكتب وحقائب تحتوى على أدوات حجرية قديمة وأوانى متكسرة. ورأيت عدة صناديق من العملات القديمة. وكانت الكتب والأوراق تغطى مكتب «الجنتلمان».

كان رجلاً عجوزاً عطوفاً له وجه مستدير وأصلع الرأس. وكان يضع نظارة كبيرة على عينيه. وعندما دخلت، لم يتحرك أو يتكلم.

ولم أستطع أن أتفوه بكلمة أنا أيضاً. ونظرت إليه ولاحظت عينيه. كانتا صغيرتين برّاقتين وصافيتين جداً وكانت رأسه الصلعاء تلمع مثل الزجاج.

ثم قال ببطء:

- إنك فى عجلة من أمرك يا صديقى.

فأشرت عبر ساحة المزرعة والحقل. كان بعض الأشخاص يتسلقون فوق البوابة التى بجانب الطريق.

فقال:

- آه، إنهم رجال الشرطة وأنت هارب منهم، حسن، يمكننا أن نتكلم عن ذلك فيما بعد. أنا لا أريد الشرطة يدخلون هنا. إذا ذهبت للحجرة التالية، فسوف نرى بابين.

لمش عبر الباب الذى فى جهة اليسار واغلقه خلفك. ستكون فى أمان تام هناك.

ثم التقط قلماً واستمر فى عمله. وأطعته على الفور. وذهبت إلى الحجرة التالية ومنها عبر الباب الذى فى جهة اليسار. كان الظلام شديداً بالداخل، وكانت هناك نافذة واحدة لكنها مرتفعة فى أعلى الحائط.

كنت آمناً من الشرطة فى تلك الحجرة لكنى لم أكن سعيداً. فى الواقع شعرت بالهيبة. كل شيء كان سهلاً حتى أننى بدأت أتساءل:

- لماذا ساعدنى ذلك الرجل العجوز؟ إننى لم أقابله من قبل مطلقاً، ولم يسألنى أية أسئلة.

وأثناء ماكنت منتظراً، فكرت فى الطعام مرة أخرى. ورسمت صورة لإفطارى وكان إفطاراً مثيراً. عبارة عن شرائح لحم وبيض. لن يستطيع الرجل العجوز أن يرفض تقديم ذلك لى. كنت أستطيع أن ألتهم رطلاً من اللحم ودستة من البيض.. كنت سارحاً فى هذه الوجبة عندما فتح الباب.

وأشار الرجل الواقف خارج الباب لي. وتبعته إلى حجرة «الجنتلمان» العجوز.

سألت:

- هل ذهبت الشرطة؟

- نعم، سألوني إذا كنت قد جئت إلى هنا. لكني لم أخبرهم أي شئ له أهمية. هذا صباح محظوظ بالنسبة لك، يا مستر ريتشارد هاناي.

تكلم بهدوء وبدا صغيراً جداً الآن. كنت أراقبه طوال الوقت. وأطبق عينيه لكنهما كانا نصف مغلقتين فقط، مثل عيني الطائر. وفجأة تذكرت ما قد أخبرني به سكودر، عندما قال:

- إذا رأيت عينيه، يا هاناي، فلن تنساهما أبداً. هل كان هذا الرجل هو أحد أعداء سكودر؟ وهل أنا الآن في منزل العدو؟ سوف أقتل الرجل العجوز إذا كانت هذه الأفكار حقيقية.

وخمّن خاطري فابتسم. ثم تحركت عيناه إلى الباب الذي خلفي. واستدرت فرأيت رجلين بمدافع رشاشة في أيديهما.

كان يعرف اسمي لكنه لم يرني مطلقاً من قبل. وكانت هذه هي فرصتي الوحيدة، فسألت:



أعطى إشارة لأحد من الرجال، الذى أحضر لى بعضا من اللحم البارد

وكوبا من اللبن.

- ماذا تقول؟ اسمي ليس ريتشارد هاناى. أنا اسمي أينسلي..

- أمكذا؟ لكن طبعاً لديك أسماء أخرى. لم نختلف على الاسم.

وكان لا يزال يبتسم لي. ففكرت في خطة أخرى بسرعة. لم يكن معي معطف وملابسي ما زالت متسخة جداً. كانت خداعاً طيباً بالنسبة لي، لذلك شرعت في رواية قصة.

سألت:

- لماذا أنقذتني من الشرطة؟ إنني لم أكن أرغب في سرقة تلك النقود. إنها سببت لي كثيراً من الإزعاج ويمكنك أن تأخذها.

وأخرجت أربعة جنيهات ذهبية من جيبي وألقيت بها على مكتب الرجل العجوز، وقلت:

- خذها ودعني أرحل.

- أوه، لا يا مستر هاناى، إنني لم أسمح لك بالرحيل. أنت تعرف الكثير ولن أسمح لك بذلك. إنك تقوم بدورك جيداً لكنك لاتستطيع أن تخدعني.

فتساءلت ترى هل هو على يقين مني. ولكنني رأيت للحظة خاطفة قليلاً من الشك في عينيه، فقلت:

- أنا لا أريد أن أخدعك. لماذا لا تصدقني؟ سرقت تلك النقود لأني كنت جائعاً. لقد ترك الرجلان السيارة وذهبا وراء الحادث. فنزلت من التل ووجدت النقود على أرضية السيارة. وتبعني رجال الشرطة منذ ذلك الحين. وأنا متعب جداً.

أصبح الرجل العجوز في شك واضح الآن. لكنه كان لا يزال مرتاباً في، رغم أننا لم نتقابل أبداً من قبل. وهذا ما جعله حريصاً.

قال:

- احك لي مغامراتك، ماذا حدث لك بالأمس؟

- لا أستطيع. إنني لم أتناول أي أكل لمدة يومين. أعطني طعاماً أولاً، ثم سأحكي لك كل شيء.

أعطى إشارة لأحد من الرجال الذي أحضر لي بعضاً من اللحم البارد وكوباً من اللبن. وفجأة أثناء تناولي الطعام، تكلم الرجل العجوز إلي باللغة الألمانية. كانت حيلة طبعاً، لذلك لم أرفع بصري أو أجب عليه.

وعندما انتهيت، بدأت قصتي ثانية. لقد جئت من «ليث» وكنت ذاهباً لزيارة أخي في «ويجتاون». لم أكن مسافراً

بالقطار لأني لم تكن معي نقود كافية. وفي طريقي رأيت الحادث، انحرفت سيارة عن الطريق وسقطت في وادي صغير.

وقفز رجل من السيارة قبل أن تسقط، ثم ظهر رجل آخر. وتكلما لبضع لحظات ورحلا سوياً. فنزلت إلى السيارة. كانت مهشمة تماماً، لكني عثرت على الجنيهات الأربعة على الأرض. فوضعت النقود في جيبي وركضت.

ودخلت دكان في أقرب قرية وحاولت أن أشترى بعض الطعام. وقدمت جنيهاً ذهبياً إلى صاحب الدكان. فارتاب في أمري ونادى الشرطة. فهربت، لكن الشرطة مزقت معطفي تماماً.

ثم صحت قائلاً:

- حسن، يمكنهم أخذ النقود ثانية. الإنسان الفقير المسكين ليست لديه أية فرصة.

فقال الرجل العجوز:

- إنها قصة طيبة يا هاناي. لكني لا أصدقها. ثم اتكأ على ظهرالكرسي وبدأ يحك في أذنه اليمنى.

فصحت قائلاً:

- إنها الحقيقة. واسمي اينسلي وليس هاناي. ورجال الشرطة يعرفونني وكانوا ينادون على اسمي من قمة التل.

نظرت إلى العينين البراقتين والرأس الأصلع أمامي. وعرفت أن شكوكه كانت تزداد. إنه لم ير وجهي من قبل. وكان وجهي مختلفاً عن صوري. وكانت ملابسي قديمة ومتسخة جداً.

وقال أخيراً:

- لابد أن تبقى هنا. وإذا لم تكن ريتشارد هاناي، فستكون في أمان تام. لكنك إذا كنت هاناي، فسوف أقتلك بنفسي. وسوف أكتشف الحقيقة فوراً.

ورن جرس، ودخل رجل آخر في الحال.

وقال:

- احضر السيارة، سيكون عندنا ثلاثة على الغداء.

وتطلع إلى بعناية مرة أخرى. وكان هناك شئ فظيع في عينيه كانت باردتين وقاسيتين، مثل العينين البراقتين للثعبان. لم أستطع أن أنظر بعيداً عنهما. كانتا يجعلانني ضعيفاً، مثل الطفل، فأريد أن أزحف إليه. إنه كان ألد أعداء سكودر. لكنني كنت مؤهلاً لأن أخدمه إذا طلب مني ذلك!

كان يدعك أذنه اليمنى ثانية. ثم تحدث باللغة الألمانية إلى واحد من الرجال. وعندما سمعت كلماته غادرتني أفكاري الغريبة.

قال:

- كارل، ضع هذا الرجل في المخزن ولاتدعه يهرب. تذكر ذلك.

كان المخزن حجرة معتمة جداً، لكن لم يدخل معي أحد من الرجال. وجلس رجلان منهم في الخارج حيث كنت أستطيع سماع حديثهما.

تحسست الجدران في الحجرة ولمست العديد من الصناديق والبراميل. ثم جلست فوق أحد الصناديق لأفكر في مشاكلي.

فسوف يعود الرجل العجوز وأصدقاؤه الذين سيتعرفون علي. نعم سيتذكرون عامل الطريق لأنني كنت لا أزال مرتدياً ملابس تيرنبول. وكنت أستطيع تخمين أسئلتهم: لماذا كانت الشرطة تبحث عن عامل طريق؟ لماذا عثر عليه على بعد عشرين ميلاً من مكان عمله؟ وسوف يتذكرون مارمادوك جوبلي أيضاً، وفكرت، وربما سير هاري أيضاً. لن أستطيع مواصلة خداع هؤلاء

الأعداء الأجانب وسوف أكون بمفردى معهم هنا. وكانت فرص هروبى ليست كبيرة.

وفجأة ازداد غضبى وكرهت هؤلاء الجواسيس الألمان فى بريطانيا. أنا لن أقبع فى هذا المكان المعتم ولا أعمل شيئاً. يجب على أن أهاجمهم لو أحاول الهرب.

فنهضت ومشيت حول الحجرة ثانية. كانت الصناديق والبراميل متينة قوية لم أستطع أن أفتح واحداً منها، لكنى توصلت إلى خزانة فى الحائط. كانت مغلقة بالمفتاح غالباً لأنى لم أستطع فتحها. لكن كان هناك شق فى الباب. فدسست أصابعى عبر الشق وأخذت أشد الباب بكل قوتى. فانكسر باب الخزانة وانفتح.

كان فى داخله أشياء غريبة. الأشياء الأولى التى عثرت عليها نصف دستة من المصابيح الكهربائية. كانت فى حالة جيدة، فأضأت واحدة منها على الخزانة.

كانت هناك زجاجات وصناديق صغيرة وبعض الحقائب الصفراء المغبرة. وعثرت على صندوق من المتفجرات مع الفتيل الطويل كاملاً. ووجدت فى مؤخرة الخزانة صندوقاً مدبباً. فى البداية اعتقدت أنه مقفل. لكنه فتح بكل سهولة وكان مملوءاً بأعواد الديناميت.

كان بمكنني أن أدمر المنزل كله بهذا الديناميت. ولقد استخدمته عدة مرات في روديسيا وكنت على دراية بقوته. وكان من الممكن أن يدمرني أنا أيضاً كانت هذه فرصة للهرب، ولاشك في ذلك، بل وربما تكون فرصتي الوحيدة. لذلك قررت في اقتناصها.

وعثرت على شق في الأرض قرب الباب. فوضعت عوداً من الديناميت داخل الشق وثبت مفجراً وفتيلاً به ثم حركت أحد الصناديق حتى أصبح فوق الشق.

وجلست قرب الخزانة وأشعلت الفتيل. وأخذت أراقب النار وهي تتحرك في الفتيل. كان الرجلان لا يزالان يتكلمات بهدوء خارج الباب..

وفجأة حدثت ضجة فظيعة، واندفعت حرارة شديدة وضوء باهر من الأرضية وتعلق في الهواء للحظة، ثم حل محلها سحب من الغبار. وملأ الحجرة دخان أصفر سميك، ولم أستطع رؤية أي شئ في البداية، ثم ظهر نور في الحجرة ورأيت ظهور حفرة كبيرة في الجدار، فجريت نحوها. كان الهواء في الخارج مشبعاً بالدخان والغبار أيضاً، وكنت أستطيع سماع أصوات الرجال.



وجلست قرب الخزانة واشعلت الفتيل.

وبعد أن تسلقت عبر المغرة ركضت بكل قوتي. كنت في ساحة المزرعة في الجهة الخلفية من المنزل وكان يوجد على بعد حوالي ثلاثين ياردة برج حمام حجري عال. لم يكن للبرج أية أبواب أو نوافذ، لكن كانت به فتحات صغيرة كثيرة من أجل الحمام. وكان يبدو أن سطحه لا يقل ارتفاعه عن أربعين قدماً.

إذا تمكنت من الوصول إلى هذا السطح، فسأصبح في مأمن. إنهم لن يبحثوا على هناك، هكذا فكرت.

وركضت داخل الدخان إلى أن وصلت خلف برج الحمام. ثم بدأت التسلق. كان مجهوداً صعباً، وأخذت أصعد ببطء شديد. لكني وصلت أخيراً إلى السطح ورقدت خلف جدار منخفض.

لقد أخذت أسعل بسبب الغبار والدخان، وشعرت بالإعياء والإرهاق. لكني أصبحت في أمان في هذا المكان المرتفع، ونمت في الحال.

لعلي نمت عدة ساعات. فعندما استيقظت، كانت شمس ما بعد الظهيرة قوية جداً. واستطعت أن أسمع أصوات رجال مرة أخرى وكذلك صوت موتور سيارة. فرفعت نفسي قليلاً وتطلعت من فوق الجدار.

فرأيت أربعة أو خمسة رجال يمشون عبر ساحة المزرعة متجهين إلى المنزل. وكان كبيرهم معهم وكان من الواضح أنه غاضب جداً. وأشار عبر الحقول وقال شيئاً ما باللغة الألمانية للخدم. وكان الرجل النحيف الأسمر هناك وكذلك الرجل السمين أيضاً.

رقدت فوق سطح برج الحمام طوال ما بعد الظهر. وكنت أشعر بظمأ شديد كان هناك نهر صغير بجانب المزرعة وكنت أستطيع سماع صوت الماء. وتحسست النقود في جيبي. وكنت على استعداد لدفع أربعين جنيها مقابل كوب من الماء إذا وجدت الفرصة لذلك!

انطلق رجلان بالسيارة، وبعد ذلك بقليل انطلق رجل آخر جهة الشرق فوق حصان. لقد بدأ البحث والتنقيب لكنهم كانوا جميعاً يسيرون في الاتجاه الخاطئ!

جلست فوق السطح وأخذت أتطلع حولي. لم أر في البداية أي شئ له أهمية بالنسبة لي، ثم لاحظت حلقة كبيرة من الأشجار. كانت هذه الأشجار على بعد نصف ميل من المنزل، وكان يوجد حقل منبسط داخل الحلقة

فكرت:

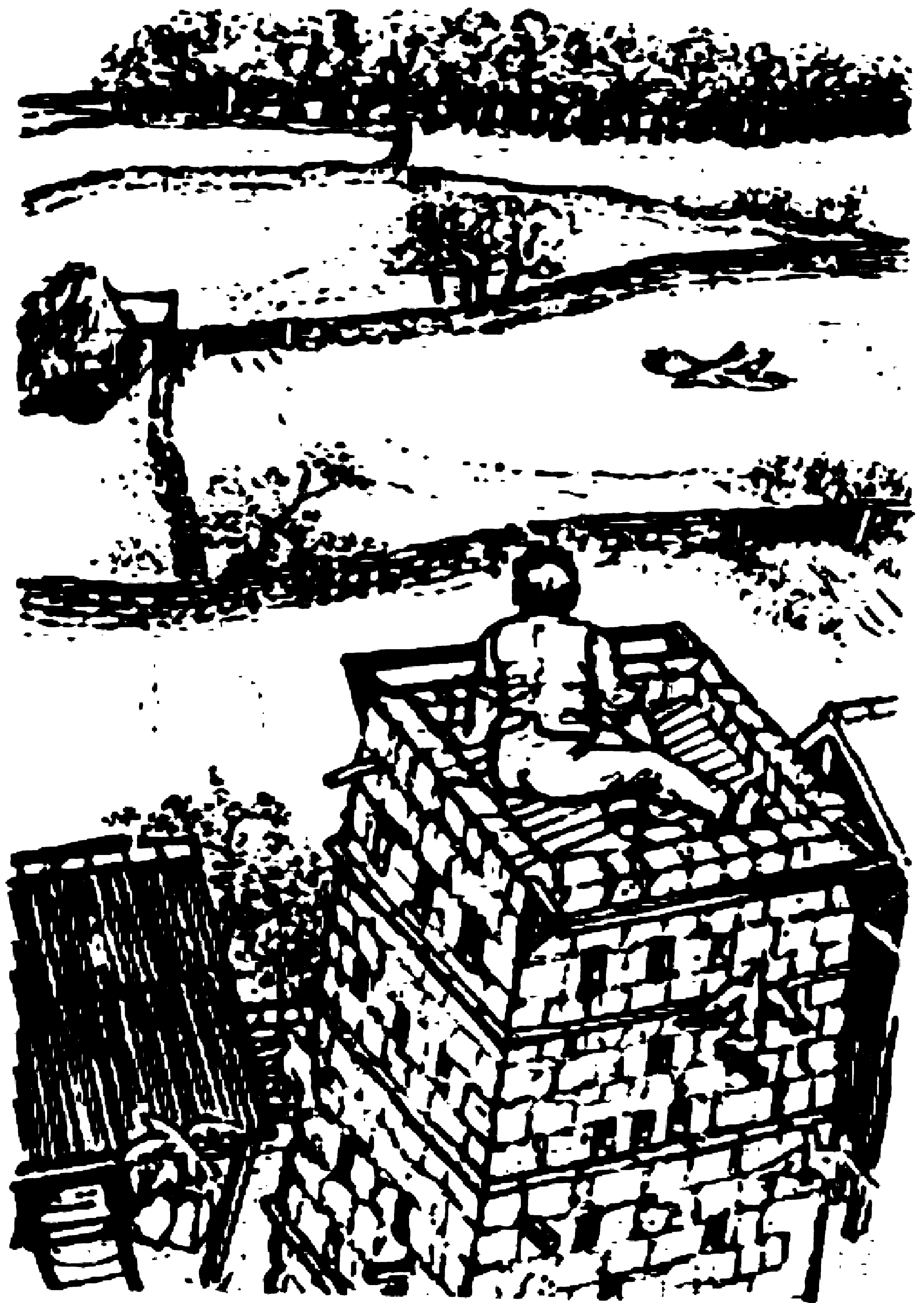
- لابد أن هذا عبارة عن مطار خاص، إنه مكان رائع لمطار سرى، صعب لاكتشافه.

إنه يخدع أى أحد لا يعرف هذا المكان. ويمكنه لطائرة صغيرة أن تهبط هناك دون أن يراها أحد وأى شخص يعتقد أن الطائرة قد طارت فوق التل، فالمطار كان مختبئاً تماما عن الأرض. ولا يستطيع أحد أن يظن أنها قد هبطت بين الأشجار.

ثم لاحظت خط أزرق طويل بعيداً فى اتجاه الجنوب كان هذا هو البحر. وهكذا فأعداؤنا لديهم مطارهم السرى فى اسكتلندا ويمكنهم مراقبة سفننا كل يوم. وبدأ التفكير يحيرنى ويجعلنى غاضبا.

لقد جعلنى عصبيا أيضا. إذا عادت الطائرة فسيرانى الطيار بكل سهولة لكنى لا أستطيع القيام بأية حركة قبل حلول الظلام.

انبطحت فوق سطح برج الحمام وانتظرت حوالى الساعة السادسة خرج أحد الرجال عبر حفرة المخزن ومشى ببطء تجاه برج الحمام وشعرت بالفزع لبرهة لكننا سمعنا كلانا صوت الطائرة فى وقت واحد، فاستدار الرجل على الفور وعاد إلى المخزن ثانية.



فكرت: لابد ان هذا عبارة عن مطار خاص.

لم تطر الطائرة فوق المنزل، وكنت سعيدا بذلك، وطارت حائمة حول الأشجار ثم هبطت أضيئت بعض الأنوار للحظات وبعد عشر دقائق سمعت أصواتا، وبعد ذلك أصبح كل شيء هادئ وبدأت العتمة تقترب .

انتظرت حتى الساعة التاسعة على ما أعتقد، ثم تسللت هابطا من السطح ووصلت للأرض بسلام، وزحفت حتى برج الحمام على يدي وركبتي.

ذهبت أولا إلى النهر الصغير حيث شربت الماء البارد القراح، ثم شرعت في الركض السريع أردت أن ابتعد قدر الإمكان عن ذلك المنزل الفظيع.

٧.صيد السمك

أصبحت الآن حرا طليقا، لكني كنت أشعر بالغثيان كنت لاأزال أشم دخان الديناميت وبعد ساعة من الركض والتطلع خلفي توقفت لأخذ قسطاً من الراحة.

كانت الساعة حوالي الحادية عشرة عندما وصلت إلى الطريق. أردت أن أعود إلى كوخ مستر تيرنبول. كان مصطفى هناك، الذي في جيبه مفكرة سكودر، وكان يجب أن أحصل على هذه المفكرة، وكانت خطتي عندئذ أن أصدر على السكة الحديد وأسافر للجنوب. وبعد ذلك سأذهب مباشرة إلى أرتنسويل لأقابل سير والتر بوليفانت

كانت ليلة جميلة كنت أعرف أن كوخ تيرنبول على بعد مايقرب من ثمانية عشر ميلاً. وكان بعيدا عليّ ولا يمكن أن

أصل إليه القبيلة، وكان من الأفضل أن أختفي خلال النهار وأسير بالليل فقط.

وعندما أشرقت الشمس، كنت قرب أحد الأنهار وغسلت رأسي وذراعي في الماء البارد النظيف لأني كنت متسخاً جداً. وكان القميص والبنطلون ممزقين وكنت أخشى أن أقابل أحداً وأنا في هذه الحالة، ولكن خلف النهر بقليل جاءت الكوخ كنت جائعا جدا لذلك لجأت لهذا الكوخ

كان الرجل ليس بالمنزل، وفي البداية ارتابت زوجته في، لذلك اختلقت قصة وبدت مصدقة تماما لمهاجمتي

فقلت:

- لقد وقع لي حادث حيث سقطت في التلال واشعر بالتعب والإعياء هل بمكانك أن تساعديني؟

ولم تسألني أية أسئلة لكنها دعتني للدخول المنزل، وأعطتني كوبا من اللبن وبعض الخبز والجبن. ثم جلست بجانب النار في مطبخها وتبادلنا أطراف الحديث، وقدمت لها جنيها ذهبياً،

لكنها رفضته في البداية.

قالت:

- إذا لم تكن نقودك، فلا أريدها

قالت غاضبا:

- لكنها نقودى هل تعتقدين أنى سرقتها؟

قبلتها عندئذ وفتحت الخزانة التى فى الحائط وأخرجت منها قطعة قماش مربعة النقش من الصوف الإسكتلندى المفيد فى البرد والذى يرتديه الرجال فى اسكتلندا بدلا من البنطلون، وإحدى قبعات زوجها، وعندما غادرت كوخها، أصبحت مثل الاسكتلنديين الحقيقيين.

مشيت لساعتين أو ثلاث ساعات. ثم تغير الطقس وبدأت تمطر. لكنى كنت أشعر بالدفء والجفاف بسبب القماش الاسكتلندى وبعد قليل جئت إلى صخرة كبيرة معلقة فوق قطعة أرض منخفضة كان العشب تحت الصخرة جافا تماما. وهكذا رقدت ونمت هناك طول النهار.

وعندما استيقظت، كانت العتمة قد اقتربت لكن الطقس كان لايزال باردا ممطرا، ولم أكن متأكدا من طريقى، وأخذت الممر الخاطئ مرتين ولعلى سرت إلى الآن عشرين ميلا. ولكن فى الساعة السادسة صباحاً وصلت إلى كوخ مستر تيرنبول.



وأعطتني قطعة قماش من الصوف الإسكتلندي وإحدى قبعات زوجها

وفتح مستر تيرونبول الباب بنفسه، لكنه لم يتعرف على فسأل:

- من أنت؟ لماذا تأتى إلى هنا صباح الأحد؟ إننى أستعد الذهاب إلى الكنيسة.

لقد نسيت أيام الأسبوع. لقد بدت كل الأيام واحدة بالنسبة لى. وشعرت بالإعياء حتى أننى لم أستطع الإجابة عليه. لكنه تعرف على عندئذ.

وسأل:

- هل معك نظارتى؟

فأخرجتها من جيبى وأعطيتها له، فقال:

- بالطبع لقد جئت من أجل معطفك. أدخل يا رجل. إنك تبدو مريضا. انتظر سأحضر لك كرسيا.

كنت فى روديسيا قد أصبت بالملاريا، ومازالت فى جسمى فأنا أعرف علاماتها جيدا. والآن المطر والبرد والإرهاق قد يجلبوها لى ثانية. لكن مستر تيرنبول ساعدنى فى الحال على خلع ملابسى وإيوائى فى سرير وثير.

وظللت عنده لمدة عشرة أيام، اعتنى بى خلالها جيدا.

واستمرت الملاريا ستة أيام تقريبا ثم نزلت درجة حرارة جسمي وعدت طبيعيا وقمت من الفراش.

كان يخرج للعمل كل صباح ويعود فى المساء واعتدت أن ارتاح كل النهار. كانت لديه بقرة تمدنا باللبن الحليب الدسم ودائما ما كان يوجد طعاما بالمنزل.

وفى إحدى الأمسيات قلت:

- يوجد مطار صغير على بعد خمسة عشر ميلا تقريبا

هل رأيته؟ تهبط فيه طائرة صغيرة من حين لآخر. هل تعرف من يملك المكان؟

قال:

- لا أعرف، لقد رأيت الطائرة طبعا، لكنى لا أعرف أى شيء عنها.

وأحضر لى عدة صحف أثناء بقائى معه. وقرأتها جميعا بشغف. لكنى لم أر شيء عن جريمة القتل فى لندن.

ولم يسألنى تيرنبول أية أسئلة حتى ولا اسمى. واندهشت لذلك وفى يوم ما قلت:

- هل سألك أحد عني؟

قال:

- كان هناك رجل في سيارة توقف في أحد الأيام وسألني عن عامل الطريق الآخر. كان ذلك طبعا أنت. وبدالي شخصا غريبا حتى أنني لم أخبره بأي شيء

عندما تركت الكوخ، أعطيت تيرنبول خمسة جنيهات لم يكن يريد أن يأخذ النقود على الإطلاق. واحمر وجهه وصار وقحا معي

لكنه أخذها في النهاية، وقال:

- أنا لا أريد نقودا. عندما كنت مريضا، ساعدتني والآن أصبحت أنت مريضا فساعدتك ولا داعي للنقود

كان الطقس جميلا في ذلك الصباح لكني كنت بدأت أشعر بالقلق إنه الثاني عشر من يونيو، وكان علي أن أنهي عمل سكودر قبل الخامس عشر.

تناولت الغداء في فندق هادئ في موفات ثم ذهبت إلى محطة السكة الحديد. كانت الساعة السابعة في المساء.

سألت:

- في أي وقت يذهب القطار إلى لندن؟

قال رجل السكة الحديد:

- الثانية عشرة إلا عشر دقائق.

كان وقتا طويلا للانتظار لذلك غادرت المحطة، وعُثرت على مكان هادئ قرب قمة التل فرقدت هناك ونمت كنت متعبا فنمت حتى الثانية عشرة إلا عشرين دقيقة. ثم ركضت إلى المحطة حيث كان القطار منتظرا.

قررت ألا أذهب إلى لندن. فنزلت من القطار عند كريوى وانتظرت هناك لمدة ساعتين. وأخذني القطار التالي إلى بيرمنجهام، فوصلت ريدنج في الساعة السادسة مساءً. وبعدها بساعتين كنت أبحث عن كوخ سير والتر بوليفانت في أرتنسويل.

كان نهر كوديت يمر بجانب الطريق. وكان الهواء الإنجليزي حلوا ودافئا، مختلفا تماما عن الهواء الإسكتلاندي وقفت لمدة دقائق على جسر فوق النهر. وبدأت أغني وأغنيا لورياه، بصوت منخفض.

جاء صياد سمك من ضفة النهر. وأثناء سيره نحوي، بدأ يغني أغنيا لورياه، أيضا.



كان صياد السمك رجلاً ضخماً.

كان صياد السمك رجلا ضخما. كان يرتدي بنطلونا رماديا قديما وقبعة كبيرة. فنظر إلي وابتسم. وشعرت أن له وجها حكيما شريفا. ثم نظر معي إلى الماء، وقال:

- إنه نظيفا وصافيا. فالكيبوت نهر جميل. أنظر إلى هذه السمكة هناك، لكن الشمس قد غابت الآن، وإنا حاولت كل الليل، فلن نمسك بها.

قلت:

- أين؟ أنا لا أستطيع أن أراها.

- انظر، أسفل هناك، بالردة من نباتات الماء تلك.

- أوه، نعم. أستطيع أن أراها الآن. إنها تشبه الحجر الأسود الكبير، أليس كذلك؟

فقال:

- أه.

وغنى مزيد من كلمات أغنية «دنيا لوريا».

كان لايزال يتطلع إلى الماء عندما قال:

- اسماك تريسدون، على ما أعتقد.

قلت:

- لا.

ثم تذكرت فجأة أسمائي الأخرى فأضفت بسرعة:

- أوه، نعم، تمام... تمام.

فضحك، وقال:

- الجاسوس الجيد يعرف دائما اسمه.

كان بعض الرجال يعبرون الجسر من خلفنا، فرفع ميرو والتر صوته قائلاً:

- لا، لن أعطيك. إنك قوي ويمكنك أن تعمل، أليس كذلك؟ يمكنك أن تحصل على طعام من مطبخي، لكني لن أعطيك بنسا واحداً.

مرّ الرجال، وتحرك صياد السمك مبتعداً عني. وأشار إلى بوابة بيضاء على بعد مائة ياردة، وقال:

- ذلك هو منزلي. انتظر هنا لمدة خمس دقائق، ثم تعالى من الباب الخلفي.



قال رئيس الخدم: ارجو ان تناسبك هذه الاشياء.

عندما وصلت الكوخ، كان الباب الخلفي مفتوحاً. وكان رئيس خدم سير والتر منتظراً للترحيب بي.

قال:

– تعال من هنا، يا سيدي

وقادني للصعود على السلم. وأخذني إلى إحدى حجرات النوم

وكان يوجد طقم ملابس كامل على السرير. ولاحظت بذلة رسمية وقميص أبيض نظيفا. لكن كانت هناك ملابس أخرى أيضا وعدة أزواج من الأحذية.

قال رئيس الخدم:

– أرجو أن تناسبك هذه الأشياء، يا سيدي. وحمامك جاهز في الحجرة التالية. سأدق الجرس للعشاء في الساعة التاسعة، يا سيدي.

عندما مضى، جلست. اعتقدت أنني أحلم. في مثل هذا الوقت أول أمس كنت نائما على قمة تل اسكتلندي.

والآن أنا في هذا المنزل الرائع، وسير والتر لا يعرف حتى اسمي.

أخذت حماما ثم ارتديت البذلة الرسمية للعشاء مع القميص الأبيض. وكل شيء ناسبني تماما. ورن الجرس من أجل العشاء، فنزلت لأقابل سير والتر، وقلت:

- إنك كريم جدا، يا سيدي، لكني يجب أن أقول لك الحقيقة. أنا لم أقترف أي خطأ، لكن الشرطة تبحث على حاليا.

فابتسم، وقال:

- لا بأس. يمكننا أن نتكلم عن هذه الأمور بعد العشاء. أنا سعيد إنك وصلت إلى هنا سالما.

استمتعت بتلك الوجبة، وكان كل شيء رائعا، وكان سير والتر رجلا ممتعا سافر إلى العديد من البلاد. وتكلمت عن روديسيا والسمك في نهر زامبيزي، وحكي لي هو بعض من مغامراته.

وبعد العشاء ذهبنا إلى مكتبته، وأحضر لنا رئيس الخدم القهوة. كانت حجرة لطيفة جدا، بها كتب وصور جميلة حول الجدران. وقررت أن أشترى منزلا مثل ذلك عندما أنتهي من شغل سكودر.

استند سير والتر على كرسيه، وقال:

- لقد أطعت أوامر هاري، والآن أنا جاهز للسماع لك يا مستر هاناي. عندك بعض الأخبار على ما أعتقد.

اندهشت لسماعى اسمى الحقيقى، لكنى بدأت قصتى وحكيت له كل شىء. فوصفت لقائى مع سكودر ومخاوفه بخصوص كاروليديس. وقلت له عن جريمة القتل ومغامرتى مع بائع اللبن فسأل:

- أين ذهبت عندئذ؟

- ذهبت إلى جالواى. واكتشفت سر شفرة سكودر واستطعت قراءة مذكراته.

- هل مازالت معك؟

- نعم.

ثم وصفت لقائى مع سير هارى وكيف ساعدته فى برلتابرن.

وضحك سيروالتر، وقال:

- هارى لا يستطيع إلقاء خطبة. إنه شخص طيب جداً، لكن أفكاره كلها خاطئة. استمر فى قصتك يا مستر هاناى.

رويت له عن تيرنبول وعملى كعامل طريق. وكان مستمتعا بذلك، وسأل:

- هل يمكنك وصف هؤلاء الأشخاص أصحاب السيارة؟

- حسن، كان واحد منهم نحيفا أسمر، كنت قد رأيته من قبل في الفندق مع الشخص السمين. لكنني لم أعرف الرجل الثالث الذي كان أكبرهم سنا.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- قابلت ماره مادوك جوبلي بعد ذلك، وأصبكه بإحدى مزحاتي.

وضحك سير والتر ثانية عندما وصفت له هذا الجزء من القصة. لكنه لم يضحك على الرجل العجوز الأصلع في منزل المزرعة.

وسأل:

- كيف هربت من المكان؟

فأجبت:

- عثرت على ديناميت، ومتفجرات في الخزانة. فهدمت المبنى تقريبا. ويوجد مطار صغير هناك حيث تهبط الطائرة. بعد ذلك مرضت لمدة أسبوع بالملاريا. واعطاني بي تيرنبول تماما ثم سافرت جنوبا بالقطار، وهاأنا ذا.

وقف سير والتر بيطء ونظر إلى، وقال:

- لا خوف عليك من الشرطة يا هانتاى، فرجال الشرطة لا يبحثون عنك الآن.

فاندهشت لسماع ذلك، وصحت:

- لماذا؟ هل عثروا على القاتل؟

- لا ، ليس بعد. لكن الشرطة عرفت أنك لم تقتل سكودر.

- كيف عرفوا ذلك؟

- لكنى استلمت رسالة من سكودر. لقد أنجز لى بعض الأعمال، وعرفته جيدا. كان جاسوساً عظيماً، لكن له غلطة واحدة.

- وما هى؟

- كان يريد دائما أن يعمل بمفرده، وفشل لذلك السبب أفضل الجواسيس يعملون مع الجواسيس الأخرى، لكن سكودر لم يستطع عمل ذلك. كنت آسفا جدا لذلك لأنه كان شخصا ظريفاً ورجلاً شجاعاً جداً. لقد وصلتنى رسالة منه فى الحادى والثلاثين من مايو.

- لكنه كان قد مات عندئذ. إنه قتل في الثالث والعشرين من مايو؟ أليس كذلك

- نعم، إنه كتب الرسالة في الثالث والعشرين. كان دائما يحاول خداع أعدائه. لذلك أرسل الرسالة أولا إلى أسبانيا ثم عادت إلى إنجلترا.

- عن ماذا كتب؟

- أخبرني أن بريطانيا في خطر عظيم. وقال أيضا أنه يقيم مع صديق طيب. ولكن أن الصديق الطيب كان أنت، يا هانلى ووعد أن يكتب في فرصة أخرى قريبا.

- وماذا فعلت عندئذ؟

- ذهبت إلى الشرطة فوراً، واكتشفوا اسمك فأرسلنا برقية إلى روديسيا. وكان الرد معقولا، لذلك لم نرتب بخصوصك وخمنت أمانا غادرت لندن. إنك أردت أن تواصل عمل سكودر، أليس كذلك؟ ثم وصلني خطاب هارى، فخمنت أن تويسدون هو ريتشارد هانلى.

كنت سعيدا جدا لسماعي كل هذا. إن أعدائه بلدى كانوا أعدائي لكن الشرطة في جانبي الآن. وأصبحت حرا مرة أخرى!

جلس صياد السمك المتضخم وابتسم لي، وقال:

- أرني مذكرات سكودر.

فأخرجت المفكرة الصغيرة وبدأت أفسر الشفرة له.

كان سريعا جدا وعرف معنى الأسماء. واشتغل لمدة ساعة أو أكثر في دأب واجتهاد.

وقال:

- كان سكودر صائبا في شيء واحد. إن ضابطا فرنسيا قادما إلى لندن في الخامس عشر من يونيو، وهو بعد غد، واعتقدت أن ذلك كان سراً. ونحن على علم طبعا بوجود بعض الجواسيس الألمان في إنجلترا. ولدينا رجالنا في ألمانيا أيضا. لكن كيف اكتشفوا جميعا سر زيارة هذا الرجل الفرنسي؟ أنا لا أصدق قصة سكودر عن الحرب والحجر الأسود كانت لديه أفكار غريبة.

وقف سير والتر ثانية ومشى في أرجاء الحجرة، ثم كرر قائلا:

- الحجر الأسود. إنه مثل ما يجيء في القصص الرخيصة، أليس كذلك؟ ولا أصدق الجزء الخاص بكاروليديس أيضا. إنه رجل هام، أعرف، لكن لا أحد يريد أن يقتله. ربما يكون هناك بعض الخطر الذي قد سمع عنه سكودر. لكن هذا ليس مهما. إنه

عمل الجاسوس العادى الذى يستمتع به الأمان جدا. فأحيانا يقتلون رجلا. مثلما قتلوا سكودر والحكومة الألمانية تدفع لهم مقابل ذلك.

ودخل رئيس الخدم الحجرة، وقال:

– إنه التليفون يا سيدى. مكتبك فى لندن. مستر هيث يريد أن يتحدث معك

ترك سير والتر المكتبة. وعندما عاد بعد دقائق قليلة، بدا شاحبا تماما، وقال:

– كان سكودر على صواب، وكنت أنا على خطأ. لقد قُتل كاروليديس. لقد أُطلق عليه الرصاص منذ ثلاث ساعات تقريبا.

* * *

٨.الحجر الأسود

في الصباح أخذ رئيس الخدم بذلة العشاء وأتى لي بملابس أخرى.

نزلت لتناول الإفطار فوجدت سير والتر على المائدة وكانت في يده برقية، وقال:

– لقد انشغلت خلال الليل. تحدثت مع وزير الخارجية ومع وزير الحرب. فقاما بالاتصال التليفوني مع القائد الأول للبحرية وسوف يحضرون الرجل الفرنسي إلى لندن اليوم بدلاً من الغد. واسمه رويير، وسيكون هنا الساعة الخامسة هذا المساء. وهذه البرقية من القائد الأول للبحرية.

وأشار إلى الطعام الساخن على المائدة، وبدأت آكل وكان إفطاراً رائعاً.



وكانت فى يده برقية

واستمر قائلا:

- لا أعتقد أن هذا التغيير سيساعدنا. لقد اكتشف أعداؤنا الموعد الأول، لذلك من المحتمل أن يكتشفوا الموعد الجديد أيضا. لا بد أنه لا يوجد جاسوس ألمانى فى وزارة الخارجية أو وزارة الحرب خمسة رجال فقط كانوا يعرفون بقدوم روبير كنا نعتقد ذلك، لكن شخصا ما أخبر سكودر، والألمان.

فسألت:

- ألا يمكن أن تغيروا خططكم بالنسبة للحرب؟

- يمكننا لكننا لا نريد. لقد فكرنا كثيرا إزاء هذه الخطط وهى أفضل الخطط الممكنة.

- لكن إذا كان من الضرورى، فسوف تغيرونها.

- ربما. إنها مشكلة صعبة يا هاناى. فأعداؤنا ليسوا أطفالاً، إنهم لن يسرقوا أية أوراق من روبير.

إنهم يريدون أن يعرفوا خططنا، لكنهم يريدون أن يحصلوا عليها سراً. ثم يعود روبير إلى فرنسا ويقول، «هذا هى الخطط البريطانية بالنسبة للحرب، وهى سرية تماما، والألمان لا يعرفون شيئا عنها».

قلت:

- إذن يجب أن توفر الرجل الفرنسي حارساً خاصاً، يبقى معه كل الوقت.

- سيتناول روبر العشاء مع وزير الخارجية الليلة. ثم سيأتي إلى منزلي حيث سيقابل أربعة أشخاص. وهم:

سير آرثر دربوي، وجنرال ويندانلي، ومستر ويتاكر وأنا.

واللورد الأول للبحرية في صحة جيدة منذ بضعة أيام. لذلك سيأتي ويتاكر بدلا منه. وسيأتي معه الخطط من القائد الأول للبحرية. وسنسلمها لروبر الذي سيسافر إلى بورتسموث. وستكون في انتظاره هناك بارجة لتأخذه إلى فرنسا.

وبعد الإفطار غادرنا إلى لندن بالسيارة

وقال سير والتر:

- إنني سآخذك إلى سكتلانديارد يا هاناي. أريدك أن تقابل رئيس الشرطة.

كانت الحادية عشرة والنصف عندما وصلنا سكتلانديارد. دخلنا المبنى العظيم، وقابلت الرئيس، وكان اسمه ماك جليفراي.

قال سير والتر:

- لقد أحضرت لك القاتل.

فابتسم الضابط، وقال:

- سأكون سعيدا جدا إذا أحضرت القاتل الحقيقي يا بوليفانت.

صباح الخير يا هاناى. لابد أنك رجل ممل جداً.

قال سير والتر:

- ونحن سنقول لك أشياء مسلية، لكن ليس اليوم.

عليك أن تنتظر أربعا وعشرين ساعة مع الأسف. مستر هاناى رجل حر الآن، أليس كذلك؟

قال رئيس الشرطة:

- نعم، بالطبع.

ثم استدار إلى، وقال:

- هل تريد أن تعود إلى شقتك القديمة؟ إنها جاهزة لك، لكن لعلك تحب الانتقال منها.

كنت أفكر في سكودر فلم أستطع الإجابة.



قال سير والتر . لقد احضرت لك القاتل.

فقال سير والتر:

– حسن، يجب أن أذهب الآن. ربما سنحتاج لبعض من رجالك يا ماك جليفراي، الليلة أو غداً. وقد تحدث بعض مشاكل.

وأثناء مغادرتنا، أخذ سير والتر بيدي، وقال:

– إنك على مايرام الآن يا هاناي، ستكون في أمان في لندن. تعالى لتراني غداً. لكن لا تتكلم عن هؤلاء الجواسيس، ممكن؟ ومن الأفضل أن تبقى في شقتك اليوم.

وضحك فجأة، وقال:

– إنما... رجال الحجر الأسود هؤلاء شاهدوك فسيقتلوك عندما ذهب سير والتر، شعرت بالوحدة تماما لكني كنت مضطربا جداً. فذهبت إلى فندق سافوي وطلبت وجبة شهية. لكني لم أستمتع بها. كانت الناس تتطلع إلي، وفكرت:

– هل هم تعرفوا علي؟ هل رأوا صورتي في الصحف؟

وتركت الفندق فوراً.

وبعد الظهر ركبت سيارة أجرى واتجهت عدة أميال شمال لندن. ودفعت لسائق السيارة أجرته ثم بدأت، أعود مشيا.

مشيت لعدة ساعات وأخيرا جلت إلى قلب لندن ثانية. وكنت أشعر بتعاسة شديدة.

كانت الساعة السادسة، وأمورا كبيرة كانت تحدث في لندن لقد وصل روبير بالفعل. وكان سير والتر مشغولا في وزارة الخارجية بخطط للاجتماع. وجواسيس الحجر الأسود كانوا يراقبون وينتظرون في هدوء لكن ماذا كنت أفعل أنا؟ كنت أتجول في قلب لندن!

وفجأة سنحت على خاطري فكرة غريبة. أن هناك خطرا عظيما سيقع في لندن ذلك اليوم.

لكن ماذا يمكنني أن أفعل؟ فسير والتر لا يحتاجني ولا يمكن أن أدخل على اجتماع هام للقادة والوزراء. يمكنني أن أبحث عن الجواسيس الألمان طبعا. وإذا عثرت عليهم، فيمكنني أن أحاربهم. كنت متأكدا من شيء واحد: أن بلدي تحتاجني في هذه الورطة. ولهذا لم أدمر خطط الجواسيس بالألمان، فسوف يفوزون.

وقلت لنفسي:

– لكن هل ذلك حقيقي يا هاناي؟ ألا يستطيع سير والتر وأصدقاؤه أن يرعوا بريطانيا بسهولة؟ ألا يعرف القائد الأول

للبحرية عمله أفضل منى؟ هل يمكن لبضعة جواسيس ألمان أن يفعلوا أى شيء ضد كل هذه القوة؟

لم أكن متأكداً. وكان هناك صوت فى أذنى يكرر نفس الكلمات:

- افعل شيئا يا هاناى. هيا انهض وافعل شيئا الآن، وإلا لن تهدأ بنومك ثانية.

وفى التاسعة والنصف كنت أمشى فى شارع جيرمين. وقررت مانا أفعل. سأذهب إلى منزل سير والتر. أعرف عنوانه ومن السهل الوصول إليه. إنه لم يكن يريد أن يرانى، لكن لابد أن أفعل شيئا.

جئت إلى شارع دوك ومشيت مارا بجماعة من الشباب كانوا يرتدون ملابس عشاء رسمية وخرجوا من أحد الفنادق. وكان واحد من الشباب مستر مارمادوك جوبلى. فرآنى وتعرّف على فى الحال.

فصاح:

- انظروا! إنه القاتل! اقبضوا عليه! إنه هاناى القاتل!



خذ نصيحتي ولا تقبض علي!

أمسك جويلى ذراعي، واندفع الآخرون لمساعدته. وركض رجل شرطةعبر الشاعر. فضربت جويلي بيدى اليسرى بقوة ورأيته يسقط. لكن الناس أمسكت بى ولم أستطع الحركة وقال رجال الشرطة:

- ما الأمر؟ ماذا يحدث هنا؟

فصاح جويلى:

- إنه هاناى القاتل.

قلت:

- أوه، اسكت. أنا لست قاتلا اسمع أيها الضابط. خذ نصيحتى ولا تقبض علي. رئيس الشرطة يعرف كل شيء عني. لقد كنت في الاسكتلنديارد هذا الصباح.

فقال رجل الشرطة:

- والآن أيها الشاب، تعال معي، رأيتك تبدأ العراك وهذا السيد لم يفعل لك شيئا، لكنى رأيتك تضربه. والآن تعال معى بهدوء إلى مخفر الشرطة.

شعرت بحنق شديد بالفعل. وسمعت صوتا خافتا فى أذنى مرة أخرى يقول:

- يجب أن تهرب. لا تضيع دقيقة واحدة هنا.

وفجأة شعرت بقوة فيل. فاستدرت بسرعة وألقيت بالشرطي على الأرض. ودفعت بالرجال الآخرين بعيدا وجريت في شارع دوك.

أستطيع أن أجرى بسرعة عندما أريد. وفي ذلك المساء طرت تقريبا. وفي دقائق محدودة وصلت بول مول واستدرت تجاه متنزه سانت جيمس. وجريت بين السيارات في الطريق الذي يخترق المتنزه. وكان يوجد أناس قليلون في المتنزه ولم يوقفني أحد. وكان منزل والدر في كوين آنزجيت وهناك بدأت أمشي.

كانت ثلاث أو أربع سيارات تقف في الشارع خارج المنزل. فصعدت للباب وطرقت الجرس.

فتح رئيس الخدم الباب في الحال. وكنت أستطيع أن أسمع صرخات عن بعد، لكن الشارع كان خاويا.

قلت:

- يجب أن أقابل سير والدر. عمل هام جداً

قال:



- ادخل يا سيدى. أخشى أنك لا تستطيع أن تقابله فوراً. لكن بمكانك أن تنتظر في البهو حتى ينتهي الاجتماع.

كان منزلا قديما له بهو مربع كبير. وكانت الأبواب تؤدى إلى حجرات عديدة في كل جانب، ويقف كأحد الحراس في ملابس عادية خارج أحد الأبواب. وجلست في الركن قرب التليفون.

أعطيت إشارة لرئيس الخدم، وقلت له هامساً:

- أنا في ورطة ثانية. لكني أعمل لسير والتر، وهو يعرف كل شيء عن ذلك. والشرطة وجمهرة من الناس يتبعون أثرى وقد يأتون إلى هنا. أرجوك لا تخبرهم إني هنا. ولا تدعهم يدخلون فأجاب:

- وهو كذلك، يا سيدى.

وبعد دقيقة أو اثنتين سمعت أصواتا بالخارج. ورن جرس الباب وذهب رئيس الخدم ليفتح. تكلم أحدهم إليه من الخارج.

فانتصب في وقفته فجأة، وقال:

- أنا آسف. هذا منزل سير والتر بوليفانت، وسير والتر هو سكرتير أول بوزارة الخارجية. ومع الأسف أنا لا أعرف أى شيء

عن أي قاتل. والآن أرجوكم الرحيل، وإلا سأستدعي الشرطة أنا نفسي.

ثم أغلق الباب ومشى عائدا عبر البهو. وبعد دقيقتين رن الجرس ثانية، ودخل جنتلمان. وعندما كان يخلع معطفه، رأيت وجهه. إنه وجه مشهور، وكثيرا ما رأيت صورته في الصحف. كان الجنتلمان هو اللورد اللواء، القائد الأول للبحرية. كان رجلا ضخما له أنف كبير وعينان زرقاوان براقتان. ومشى ماراً بي، وفتح الحارس باب الحجرة له.

انتظرت في البهو لمدة عشرين دقيقة وأثناء هذا الوقت كان الصوت الخافت لايزال يحدثني في أذني، يقول:

– لا تذهب، سيحتاجون لك حالا.

رن جرس صغير في مؤخرة المنزل. وجاء رئيس الخدم إلى البهو في الحال. وترك القائد الأول حجرة الاجتماع، وأعطاه رئيس الخدم معطفه. نظرت إلى الجنتلمان للحظة، ونظر هو إليّ في استقامة مباشرة. حدث كل ذلك بسرعة جدا. وقفز قلبي فجأة لأني لاحظت فوراً في عينيه. أنا لم أقابل القائد الأول من قبل أبدا، وهو لم يقابلني أبداً، لكن لا يوجد شك على الإطلاق



تطلعت خمسة وجوه من المائدة المستديرة باندهاش

بخصوص النور الصفاجئ فى عينيه. معنى ذلك أنه قد تعرف على ونظر بعيدا فى الحال ومشى إلى الباب. وفتح رئيس الخدم الباب من أجله وأغلقه وراءه.

التقطت دفتر التليفون وبسرعة عثرت على رقم تليفون لورد للوا. فطلبت الرقم، وأجاب رئيس الخدم عنده.

سألت:

- هل القائد الأول بالبيت؟

قال الصوت:

- نعم يا سيدى، لكنه ليس على ما يرام. إنه فى فراشه منذ الظهيرة. هل أبلغه رسالة يا سيدى؟

قلت:

- لا ، شكراً.

ووضعت السماعة. وعبرت البهو بسرعة إلى حجرة الاجتماع ودخلت بدون استئذان.

وتطلعت خمسة وجوه من المائدة المستديرة بالدهاش. كان منهم سير والتر ودريوى، وزير الحرب. لقد تعرفت على سير آرثر

يوى من صورة في الصحف. ولقد رأيت جنرال ونستانلى من
ـ، ثم رجلا مسنا واقفا بجانبه ربما هو ويناكر. والرجل الخامس
ن قصيرا وسمينا مع شارب يظهر فيه الشيب.

بدا سير والتر حانقا جدا، وهو يقول:

- هذا هو مستر هاناى، أيها السادة. لقد حدثتكم عنه من قبل.
ن لماذا أتيت هنا يا هاناى؟ تعرف؟ أننا مشغولون جداً

قلت:

- وأصدقائكم مشغولون جداً، وواحد منهم قد غادر الحجرة لتوه.

ازداد وجه سير والتر احمراراً، وقال:

- لكان ذلك كان لورد اللوا.

فصحت:

- لم يكن. فاللورد الوا في فراشة منذ الظهيرة. لقد تحدثت إلى
ين خدمة بالتليفون حالا. والجنتلمان الذى كان هنا تعرف
ى. ولورد الوا لا يعرفنى.

فسأل أحد ما:

- إذن... من ...من....؟

صحت:

- الحجر الأسود.

ونظرت حول المائدة فرأيت الشك والخوف فى خمسة أزواج من الأعين.

٩ـ درجات السلم التسع والثلاثون

قال مستر ويناكر:

- لكن لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً. لقد أخبرني لورد اللوا أنه من المحتمل ألا يأتي للاجتماع. لكني أعرفه جيداً ولم اندهش لرؤيته هنا. إنك مخطئ تماماً بخصوص هذا، ياهاناي.

خرج سير والتر من الحجرة وتحدث مع شخص ما في التليفون. وعندما عاد، تحول وجهه للشحوب.

وقال:

لقد تحدثت إلى اللوا. لقد نهض من الفراش ليأتي للتليفون. هاناي على حق. فالجنتلمان الذي كان هنا لم يكن لورد اللوا.

قال جنرال ونستانلي:

- لا أصدق ذلك، اللوا كان واقفاً بجانبي منذ عشر دقائق.

قلت:

- أيها السادة، الحجر الأسود يعرف عمله. لعلكم لم تتطلعوا إلى الرجل بدقة. كنتم تتحدثون عن هذه الخطط الهامة. والرجل كان يشبه لورد اللواء، وهكذا فهمتموه.

لكنه كان رجلاً آخر، ولعلي رأيته خلال الشهر الأخير.

ثم تحدث الرجل الفرنسي، قال ببطء في لغة إنجليزية سليمة:

- إن الشاب على حق، إن أعداءنا يعرفون عملهم جيداً. اسمعوا وسأروي لكم قصة حقيقية. حدثت منذ سنين طويلة عندما كنت في السنغال. كنت أعيش في فندق لكني اعتدت كل يوم أن أذهب لصيد السمك. كان النهر على أميال قليلة واعتدت أن أركب هناك فرسة صغيرة.

حسن، في أحد الأيام أخذت غذائي كالمعتاد وعلقته في عنق الفرسة. ثم اتجهت إلى النهر. وعندما وصلت هناك، ربط الفرسة في شجرة. وانصرفت للصيد لعدة ساعات، وكنت أفكر فقط في السمك. ولم ألحظ الفرسة على الاطلاق، لكني كنت أسمع صهيلها. وكنت أستطيع رؤية شكلها من ركن عيني. كانت

تتحرك كثيراً وتصرخ قليلاً أيضاً. وتحدثت إليها كالمعتاد، لكنى لم أرفع بصرى عن الماء.

حسن، جاء وقت الغذاء، لذلك وضعت السمك فى الكيس ومشيت على طول ضفة النهر. كنت لا أزال أصطاد بحرص وأراقب الماء. عندما وصلت الشجرة، ألقيت بالكيس على ظهر الفرسة..

وتوقف الرجل الفرنسى وتطلع حول المائدة، ثم قال:

ـ إنها الرائحة التى لاحظتها أولاً، رفعت بصرى ولفت رأسى. كان الكيس الذى به السمك على ظهر أسد. وكانت الفرسة ميتة نصفها مأكولاً على الأرض من خلفى.

فسألت، أنا أقر هذه كقصة إفريقية حقيقية.

ـ ماذا حدث بعد ذلك؟

قال:

ـ أطلقت النار على الأسد فى رأسه. لكن قبل أن يموت أخذ جزءً منى.

ومد يده اليسرى فكان فيها أصبعان فقط.

واستمر قائلاً:

- تلك الفرسة كانت قد ماتت منذ ساعة. وكان الأسد يراقبني كل الوقت. كان شكلاً بدياً قرب الشجرة. ولقد رأيت الشكل واللون لكني لم أتطلع بدقة. ذلك كان خطئ يا سادة. ولقد وقعنا في نفس الخطأ الليلة.

فوافق سير والتر على كلامه.

وقال الجنرال:

- وهذا الحجر الأسود، هل هو جاسوس ألماني أم ماذا؟

لا يستطيع أحد أن يحفظ كل هذه الحقائق والأرقام في رأسه وهي لا تبدو لي ذات أهمية قصوى.

فأجاب الرجل الفرنسي:

- أوه، نعم يستطيع، فالجاسوس الجيد يستطيع تذكر كل شئ. عيناه مثل الكاميرا. هل لاحظتم أنه لم يتكلم على الاطلاق؟

قرأ الأوراق عدة مرات لكنه لم يقل أى شئ. ويمكنك التأكد من أن لديه كل الحقائق الآن. عندما كنت صغيراً، كنت أستطيع عمل نفس الشئ.

قال سير والتر:

- حسن، يجب أن نغير الخطط

فنظر مستر ويتاكر مندهشاً:

- هل قلت ذلك للورد اللوا؟

- لا

- بالطبع لا يمكننا أن نقرر هنا الآن. لكنى متأكدا تقريبا من ذلك. واذا غيرنا الخطط، فسيتحتم علينا أن نغير الساحل الانجليزى أيضا!

قال روبر:

- هناك مشكلة أخرى. لقد قلت لكم عن بعض الخطط الفرنسية، وذلك الجاسوس الألمانى سمعها. ومن المحتمل الا نستطيع تغيير الخطط حاليا. لكننا يمكننا عمل الأتى أيها السادة: يمكننا أن نقبض على ذلك الرجل وأصدقاؤه قبل أن يغادروا البلد.

فصرخت:

- لكن كيف؟ إننا لا نعرف شيئا عنهم.

قال ويتاكر:



انكم لا تعرفون كيف يعمل الجاسوس الجيد

وهناك البريد. فيستطيعون بكل سهوله ارسال الحقائق إلى المانيا بالبريد. ولعلها في الطريق الأن. ولا يمكننا البحث في البريد.

قال الرجل الفرنسي:

- لا، إنكم لا تعرفون كيف يعمل الجاسوس الجيد، يا سادة. إنه يوصل الأسرار بنفسه. والألمان سيدفعو للرجل الذى يحضر الخطط. لذلك مازالت الفرصة أمامنا.

لابد أن الرجل سيعبر البحر للوصول إلى المانيا، ويجب أن نفتش كل السفن. صدقونى يا سادة. إن هذا الأمر في غاية الأهمية بالنسبة لكل من فرنسا وبريطانيا.

كان من الواضح أن روبير رجل حكيم، ولديه أفكار صائبة. لكن أين نستطيع أن نجد هؤلاء الجواسيس الألمان؟

كانت مشكلة من المشاكل العويصة.

عندئذ تذكرت فكرة سكودر، فصحت:

- سير والتر، هل أحضرت مفكرة سكودر من الكوخ؟

لقد تذكرت شيئا فيها.

فهز رأسه وذهب إلى خزانة، وبعد بضع دقائق عثرت على الصفحة. وقرأت:

ـ تسع وثلاثون سلمة، تسع وثلاثون سلمة.. عددتها.

والمد المرتفع في العاشرة سبع عشر دقيقة.

كان ريتاكر يتطلع إليّ. فسأل:

ـ وماذا يعني كل ذلك؟

قلت:

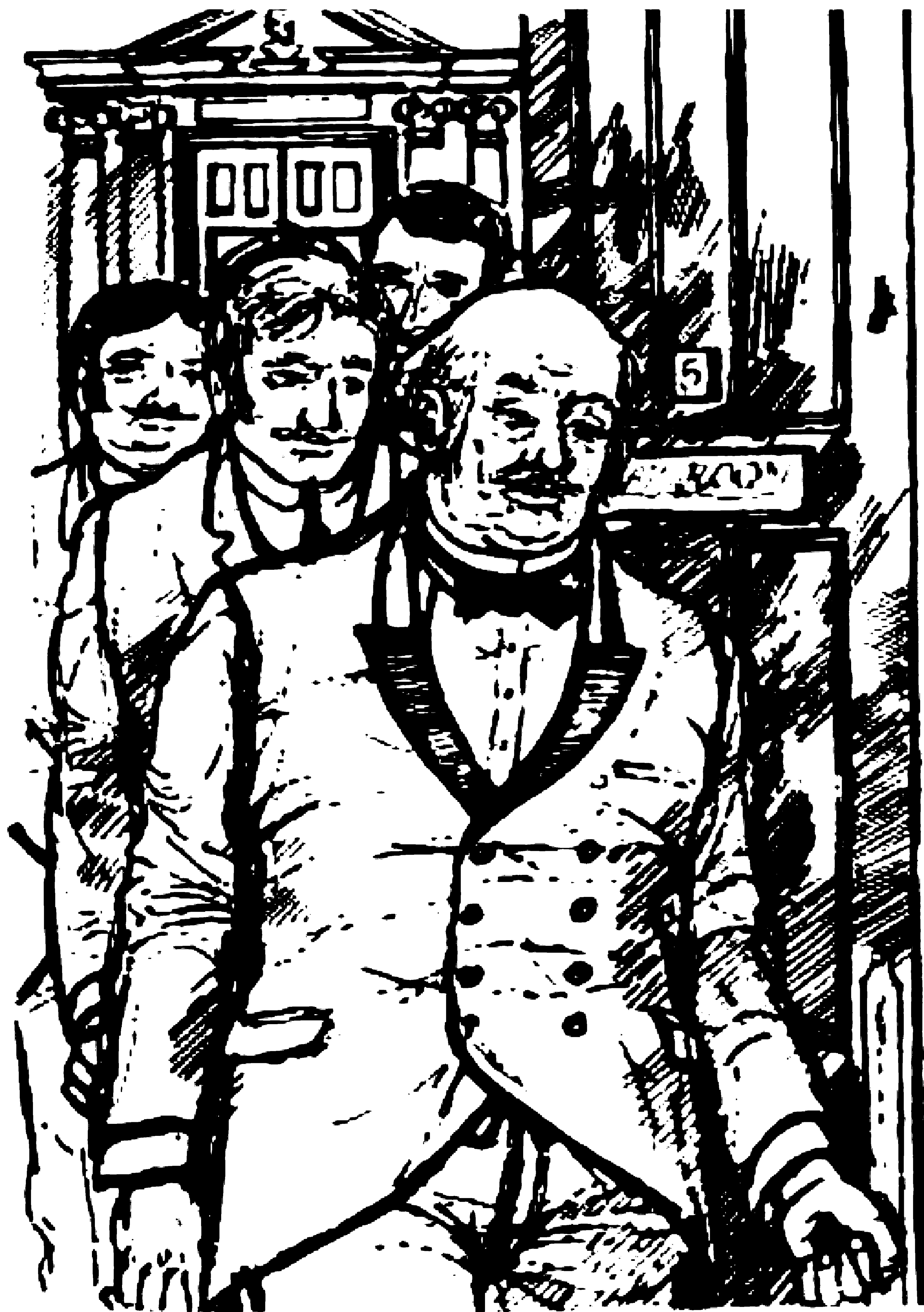
ـ سكودر عرف هؤلاء الجواسيس. وكان يعرف المكان الذي يعيشون فيه. من المحتمل أن يغادروا البلد غداً.

وأعتقد أننا سنجدهم قرب البحر. نوجد سلالم في هذا المكان، وفيه مد مرتفع عند الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة.

فقال أحدهم:

ـ لكن يمكنهم المغادره الليلة. ولا حاجة لهم أن ينتظروا حتى الغد.

ـ لا أعتقد ذلك. ان لهم طريقتهم السرية ولن يتعجلوا أمورهم. إنهم ألمان، أليس كذلك؟



وتبعا ويناهر عبر عدة حجرات خالية إلى حجرة الخرائط

والألمان يحبون دائما أن يتبعوا مخططا. والآن أين يمكننا الحصول على كتاب في المد والجزر؟

فقال ويناكر:

ـ حسن، إنها فرصة، ولعلها تكون فرصتنا الوحيدة في الامساك بهم.

فسأل سير والتر:

ـ ألا يوجد كتاب في البحرية عن المدوالجذر؟

فأجاب ويناكر:

ـ نعم طبعاً. ومن الأفضل أن نذهب هناك في الحال.

خرجنا إلى البهو، وأعطى رئيس الخدم للسادة معاطفهم. وركبنا في سيارتين، لكن سير والتر لم يأت معنا.

وقال:

ـ أنا ذاهب إلى سكتلنديارد. فلعلنا نحتاج لبعض رجال ماك جليفرى.

وصلنا البحرية وتبعنا ويناكر عبر عدة حجرات خالية إلى حجرة الخرائط. وهناك عثر على كتاب عن المد والجزر، وأعطاه لي. فجلست على مكتب ووقف الآخرون من حولي.

لكن المهمة كانت صعبة لأى واحد منا. كانت توجد مئات من الأسماء فى الكتاب. وكان المد المرتفع عند الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة موجوداً في أربعين أو خمسين مكاناً.

وضعت الكتاب وبدأت أفكر بخصوص السلالم، وقلت:

ـ إننا نبحث عن مكان لعل فيه عدة مجموعات من السلالم. لكن أهم واحدة فيها تحتوى على تسع وثلاثين سلمة

فقال روبر:

ـ والمد مهم أيضاً. وهذا يعنى أن الميناء من المحتمل جدا أن يكون صغيراً. وهؤلاء الرجال لن يحاولوا الهروب في مركب كبير. لعل لديهم يخت أو مركب صيد.

قلت:

ـ ذلك ممكن تماماً. ولعل المكان ليس ميناء على الإطلاق. فهؤلاء الجواسيس كانوا فى لندن، والآن يريدون الذهاب إلى ألمانيا. لذلك فمن المحتمل أن يغادروا من مكان على الساحل الشرقى.

والتقطت قصاصة ورق ودونت فيها أفكارنا.

(١) المكان به عدة مجموعات من السلالم. أهم مجموعة بها تسع وثلاثين سلمة.

(٢) المد المرتفع فى الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة، والمد قد يكون ضرورياً من أجل مغادرة المراكب.

(٣) المكان به ميناء صغيرا أو ربما مجرد ساحل مفتوح.

(٤) يمكن أن يستخدم الألمان يختا أو مركب صيد. ثم خرجت ثلاثة أمور وكتبتها:

١ـ السلالم قد لا تكون جزءاً من الميناء.

٢ـ إنه على الساحل الشرقى ما بين كرومر ودوفر. وعلينا البحث عن يخت أجنبى.

ودخل سير والتر الحجرة ومن خلفه مالك جايفرى، الذى قال:

ـ الشرطة تراقب الموانى ومحطات السكة الحديد. لكن المهمة لن تكون بالنسبة لهم. إنهم يبحثون عن رجل سمين ورجل نحيف وثالث كبير فى السن!

قدمت الورقة لانى كتبتها لسير والتر وقلت:

- هذه هي أفكارنا. لكننا نريد أحـدا ليسـاعـدنا والتفت إلى ويتاكر، وقلت:

- هل يوجد رئيس لحراس الساحل على الساحل الشرقي؟

- لا أعرف. لكن لدينا مفتش حراس الساحل في لندن. إنه يسكن في كلاغام ويعرف الساحل الشرقي جيدا.

سألت:

- هل يمكنك إحضاره هنا الليلة؟

- نعم، أعتقد ذلك، سأذهب إليه في منزله بكلافام. كان الوقت متأخراً جدا عندما عاد ويتاكر مع المفتش كان رجلا مسنا ظريفا ومؤدبا جدا مع الضباط تكلم سيرأرثر درو إليه أولا فقال:

- إننا نبحث عن مكان على الساحل الشرقي،. حيث يوجد عدة مجموعات من السلالم عديدة، لكن يستخدمها الصيادون فقط.

قلت:

- إنه ليس المكان

- هناك أماكن العطلات وهي موجودة بوفرة.



كان الوقت متأخرًا جدا عندما عاد ويتاكر مع المفتش.

ربما عادة سلالم.

- لا الحفر المفروض أن المكان هادئ جدا.

- إذن أنا آسف أيهــا الســادة. أنا لا أدرى. لكن يوجــد فــقط الروف.

سألت:

- ما هذا؟

- إنه مكان مرتفع بعض الشيء على ساحل كانت...

قـرب برانجـيت. هناك بعض المنازل بالجـمله فـوق القـمـة وبعضها بها سلالم لم تهبط حتى الشاطئ. إنها شواطئ خاصة طبعا.

- ماذا تقصد بذلك؟

- حسن، الناس الذين يمتلكون المنازل يمتلكون أيضا الشواطئ يا سيدى. عندما تشترى منزلا هناك، تحقق على جزء خاص بك من الشـاطـئ كـذلك. التـقطت كـتـاب المد والجـزر وعـثـرت على برانجيت وكان المد المرتفع فى العاشرة وسبع وعشرين دقيقة فى الخامس عشر من يونيو.

فسألت المفتش:

- كيف أستطيع العثور على موعد المد المرتفع في الروف؟

- أوه، أعرف ذلك يا سيدى. لقد أقمت هناك ذات مرة في شهر يونيو. إنه عشر دقائق قبل المد المرتفع في برادجيت.

أغلقت الكتاب ونظرت حولي.. وقلت:

- سير والتر، هل يمكنني أن أستعيد سيارتك وخريطة الطرق في كنت؟ أود الحصول على بعض من رجالك أيضاً يا سيد ماك جليفراى، فقد يمكننا مباغته هؤلاء السادة الألمان غداً صباحاً.

لم يردا على لبرهة. فأنا لا أعمل في وزارة الخارجية، أو البحرية، ولست في الجيش البريطاني. لكني شاب قوى ولقد قابلت هؤلاء الجواسيس من قبل.

وكان روير هو الذى تحدث أولا، فقال:

- أنا سعيد تماماً في أن أترك هذا الأمر في يد مستر هاناى.

وقال سير والتر:

- نعم، نعم، أعتقد ذلك أنا أيضاً.

وهز رأسه لماك جليفراى. وبعد نصف ساعة كنت أنطلق مسرعا عبر فرى كنت. وكان أفضل ضباط ماك جليفراى جالسين بجانبى فى السيارة. وكانت الساعة الثالثة والنصف صباحاً.



١٠ - المنزل المطل على البحر

. نزلنا في فندق جريفن في برادجيت. وفي الساعة السابعة صباحا كنت أطل من النافذة هناك، وكان يوما جميلا .

ورأيت رجلا يصطاد تحت عند الميناء، وتذكرت قصة روير عن الأسد، ثم وصلت بارجة صغيرة ووقفت جنوب الميناء. فاستدعيت رجال ماك جليفراي، وقلت:

- مفتش سكايف، هل تعرف تلك السفينة؟ لعل وينلكر بعث بها هنا.

قال:

- لا أعتقد ذلك، فهي عادة تجوب هذا الجزء من الساحل.

وقال لي اسمها واسم قبطانها. فذهبت إلى التليفون وأرسلت برقية إلى سير والتر بخصوص ذلك

وبعد الإفطار مشيت أنا وسكايف على الشاطئ وذهبنا تجاه السلالم على الروف لكننا توقفنا على مسافة نصف ميل منها، وقلت:

– لن أتقدم أكثر من ذلك معك. فهؤلاء الناس يعرفونني جيدا، سوف أنتظر هنا. اذهب واحسب كل السلالم.

وجلست وراء صـخـرة وانتظرت. لم يكن يوجـد أحـد على الشاطئ وكانت الساعة العاشرة عندما عاد سكايف وقال:

– يوجد ست مجموعات من السلالم، وهي تؤدي إلى ستة منازل مختلفة.

وأخرج قطعة ورق من جيبه وقرأ:

– أربع وثلاثين، خـمس وثلاثين، تسع وثلاثين، اثنتين وأربعين، سبع وأربعين، وواحدة وعشرين.

شعرت بسعادة غامرة حتى أنني نهضت وصحت. وأسرعنا إلى برادجيت وأرسلنا برقية إلى ماك جليفراي. أريد ستة من أفضل الرجال، على أن يتواجدوا في ستة فنادق مختلفة بالبلدة.

قلت لسكايف:

– والآن ارجع للسلالم التسع والثلاثين. وعاين المنزل ثم اذهب إلى مكتب البريد واعرف من يعيش هناك..

وعاد ببعض الحقائق الغريبة لكنها مسلية ،كان المنزل اسمه ترافالجر لودج ملك سيد عجوز اسمه أبيلتون. وغالبا ما يقيم مستر أبيلتون هنا في الصيف لقد وصل من أسبوع فقط ولايزال هناك، لا أحد يعرف عنه الكثيرة لكنه يبدو كريما مسالما. وتحلل سكايف ببعض الأعذار لزيارة المنزل ولاحظ وجود ثلاث سيدات هناك

قال:

– انهن يتعهدن بالمنزل ولا يبدو أنهن ألمانيات فهن يتكلمن كثيرا...

سألت:

– هل لاحظت المنازل المجاورة لترافالجر لودج؟

– نعم المنزل الذى على اليمين خال أما جهة اليسار فهم مازالوا يبنون المكان.



وبعد دقائق قليلة وضع الصحيفة جانبا ونظر إلى الحديقة

وقبل الغداء تمشيت على طول الروف وأخذت معي تليسكوب سكايف. ووجدت مكانا هادئا بعيدا عن المنازل فجلست هناك؛ واستطعت أن أرى المنزل بشكل واضح من خلال التليسكوب كان مبنيا بالحجر الأحمر ونوافذه كبيرة. وكانت الحديقة تحيط بالمنزل من كل جانب وكان العلم البريطاني يرفرف فوق سارية طويلة.

وأثناء مراقبتي رأيت رجلا يغادر المنزل ليمشي على قمة التل. كان كبيرا في السن مرتديا بنطلونا أبيض ومعطفا أزرق وكان حاملا أيضا تليسكوبا، وكانت معه صحيفة تحت إبطه. ومشى حوالي مائتي ياردة ثم جلس على مقعده ليقرأ الصحيفة، وبعد دقائق قليلة وضع الصحيفة جانبا ونظر إلى البارجة من خلال التليسكوب وأطال في النظر إليها. راقبته لمدة نصف ساعة، ثم نهض ليعود إلى المنزل وعدت أنا إلى فندقي

لم أكن مرتاحا إزاء الرجل العجوز إنه لم يكن يبدو كجاسوس لكنه يمكن أن يكون الرجل العجوز من تلك المزرعة الأسكتلندية.

وبعد الظهر حدث شيء مثير جاءت مركب من الجنوب ووقفت قرب الروف كانت حوالي مائة وخمسين طنا، وترفع العلم البريطاني، فنزلت أنا وسكايف إلى الميناء وتحدثنا إلى حارس

الساحل هناك. وقلنا إننا نريد الذهاب لصيد السمك وهكذا أحضر حارس الساحل زورقا لنا وأبحرنا خارج الميناء واصطدنا ما يقرب من عشرين رطلا من السمك ذلك اليوم وحوالى الساعة الرابعة أبحرنا بالقرب من المراكب كانت تبدو مثل طائر أبيض رائع على صفحة الماء.

قال سكايف:

إنها مركب سريعة، إذا أراد أحد أن يبتعد بسرعة فعليه أن يبحر بهذه السفينة، فماكيناتها قوية جداً.

كان اسمها أريادن وتحدثنا مع بعض للرجال عليها، وكانوا إنجليزا بكل وضوح، ثم ظهر ضابط فتوقف الرجال عن الحديث. كان الضابط شابا له وجه صبوح نظيف،

وتحدث باللغة الإنجليزية وبشكل جيد، لكننا كنا متأكدين أنه لم يكن إنجليزيا. كان شعره قصيرا جدا وملابسه كانت تبدو أجنبية تماما.

وفي المساء التقيت بقبطان البارجة في الفندق، فقلت:

– قد نحتاج سفينتك الليلة أو غدا، هل سمعت أى شيء عن ذلك؟



ثم ظهر ضابطا، فتوقف الرجال عن الحديث

- نعم يا سيدى، لقد وصلتنى رسالة من البحرية سأقترب عندما يحل الظلام. أنا أعرف ما يجب أن أفعل.

وبعد حوالى ساعة مشيت عائدا إلى قمة التل تجاه ترافالجر لودج وكان الرجل العجوز يلعب التنس مع شاب فى الحديقة، وأثناء مراقبتى لهما، أحضرت سيدة لهما زجاجات وأكوابا أخذ الشاب الذى كان بدينا بعض الأشياء منها

قلت لنفسي:

- هؤلاء الأشخاص يبدو أنهم طبيعيون إنهم يختلفون عن هؤلاء الرجال القاتلين فى اسكتلندا لعلى قد أخطأت ثم وصل رجل آخر إلى المنزل على دراجة كان نحيفا داكنا وصغيرا فى السن. وبعد الانتهاء من مباراة التنس دخل الجميع إلى المنزل.

ومشيت ببطء عائدا إلى الفندق. هل أنا مخطئ بخصوص هؤلاء الرجال؟ هل كانوا يمثلون أثناء مراقبتى لهم؟ إنهم لم يكونوا على علم بأن أحدا يراقبهم وكانوا يسلكون كأى رجال إنجليز.

لكن كان هناك ثلاثة رجال فى ذلك المنزل. الرجل العجوز والرجل البدين والنحيف الأسمر، وكان المنزل يتفق مع مذكرات

سكودر تماما. وكانت مركبة راسية على بعد نصف ميل ولها ضابط أجنبي فتفكرت في كارولينديس وخطر الحرب. وتذكرت الخوف في وجه سير أرثر درو

كنت أعرف ما يجب أن أفعله. أن أذهب إلى ذلك المنزل وألقى القبض على هؤلاء الرجال. إذا كنت مخطئا، فاتحمل اللوم بنفسي. لكنى لم أحب العملية على الإطلاق وفجأة تذكرت صديقي بيتر بينار في روديسيا.

كان بيتر مجرما قبل أن يصبح شرطيا في الحقيقة قبلته الشرطة لذلك السبب كان يعرف جميع المجرمين الخطرين في البلد. قال لى بيتر إنه قد هرب ذات مرة من الشرطة بسهولة لقد ارتدى معطفا أسود وذهب إلى الكنيسة واختار أن يجلس بجوار ضابط شرطة. ولنشد سويا واستخدما نفس الكتاب ولم يتعرفا على بيتر!

فسألته لماذا لم يتعرف عليه رجال الشرطة؟ فأجاب بيتر:

- لأن المكان والملابس التى ارتديتها كانت مختلفة إنه كان سيتعرف على إذا كنت في شارع أو في فندق وكان سيتعرف على إذا كنت مرتديا ملابسي العادية. لكنه، لم يصدق أنني قد أذهب إلى الكنيسة أو ارتدى معطفا أسود .

بهذه الأفكار جعلتني متأكدا مرة ثانية أن أعداءنا الألمان كانوا حكماء مثل بيكر. إنهم كانوا يعيشون في منزل إنجليزي والعلم البريطاني يرفرف في الحديقة. إنهم يستخدمون أسماء إنجليزية ويلعبون لعبات إنجليزية وكانت حياتهم الخاصة إنجليزية تماما، ولذلك لم يشك بهم أحد.

كانت الساعة الآن الثامنة مساءً. وقابلت اسكايف في الفندق وأعطيته أوامره، قلت:

- ضع رجلين في الحديقة، واخفي ثلاثة آخرين قرب النوافذ وعندما أريدك سأنادي.

لم أكن أشعر بالجوع لذلك خرجت للتمشية فلاحظت الأضواء على أريادن وعلى البارجة ثم جلست على أحد المقاعد المتناثرة وانتظرت لأكثر من ساعة.

وفي التاسعة والنصف اتجهت إلى ترافالجر لودج لابد أن رجال سكايف في أماكنهم الآن، لكني لم أر أي أحد وكانت توجد أضواء في المنزل والنوافذ كانت مفتوحة ورننت جرس الباب.

وفتحت الباب إحدى السيدات فسألت:

- هل يمكن أن أتحدث لمستر أبلتون؟

قالت:

- نعم يا سيدى، تفضل بالدخول

لقد وضعت خطة وكان أملى أن أدخل مباشرة للمنزل وأقابل هؤلاء الألمان الثلاثة وأتطلع فى وجوههم فى الحال لعلهم يتعرفون على فوراً فيظهر هذا على وجوههم.

لكن عندما دخلت لم أستطع التحرك ولاحظت قبعاتهم وعصيهم ومعاطفهم وكانت توجد ساعة كبيرة فى ركن البهو. وكانت الصور الإنجليزية معلقة على الجدران وكان المكان يشبه عشرات الآلاف الأخرى من البيوت الإنجليزية وسألت السيدة:

- اسمك يا سيدى؟

- هاناى، ريتشارد هاناى.

فدخلت إحدى الحجرات ونادت اسمى، تبعتها فى الحال لكنى كنت قد تأخرت إذ سنحت وهلة للرجال الثلاث لإخفاء دهشتهم.

كان الرجل العجوز واقفا منتصبا، وكان هو والرجل بالبدين يرتديان ملابس العشاء الرسمية. وكان الرجل الثالث يرتدى بذلة من قماش أزرق قال الرجل العجوز:

- مستر هاناى؟ إنك ترغب فى الحديث إلىّ، أعتقد.

اسمحوا لى يا رفاق، تفضل إلى الحجرة التالية يا مستر هاناى.

سحبت كرسيا تجاهى وجلست عليه وقلت:

- لقد التقيت بك من قبل، وأنت تعرف ما أريد، لم يكن الضوء قويا فى الحجرة، لكنى لاحظت أن جميعهم ترتسم عليهم علامات الإندهاش.

قال الرجل العجوز:

- ربما تقابلنا، لكنى لا يمكننى أن أتذكر، وآسف لأنى لا أعرف ما تريد يا سيدى هل تسمح أن تخبرنى؟

وفكرت إزاء بيتر بينار، وقلت:

- هذه هى النهاية أيها السادة الأفاضل. لقد جئت للقبض عليكم جميعا.

قال الرجل العجوز:

– تقبض علينا! لكن لماذا؟

– لنقبض عليكم لجريمة قتل فرانكلين سكودر في ملندن في الثالث والعشرين من مايو.

قال الرجل العجوز، وبدا صوته واهناً جداً.

أنا لم أسمع بهذا الاسم من قبل.

فتكلم الشاب ،البدين عندئذ قائلا:

– قرأت عن ذلك في الصحف، لكن هذا فظيع.. فظيع

إننا لا نعرف أي شيء بخصوص الجريمة يا سيدي، من أين أنت قادم؟

قلت:

– سكتلانديارد.

ولم يتفوها ببنت شفة عندما سمعوا ذلك وأخذ الرجل العجوز يتطلع إلى قدميه وبدا عليه الاضطراب

ثم قال للرجل البدين:

– لابد أن يكون هذه غلطة يا عمي. هذه الأمور تحدث أحيانا لكن يمكننا أن نثبت الحقيقة بسهولة فأنا لم أكن في إنجلترا في الثالث والعشرين من مايو، وكنت أنت مريضا، أليس كذلك يابوب؟ وأنت يا عمي كنت في لندن، أعرف لكن يمكنك تفسير عملك هناك، هذا صحيح يا بيرسي! والآن ماذا فعلت في الثالث والعشرين من مايو؟... أوه، ها أنا أتذكر عدت في الصباح من التمشية... وتناولت الغداء مع تشارلي سايمونز وكنت في منزل جرانثام بعد الظهر أليس كذلك؟ نعم، هذا صحيح وبقيت هناك كل مساء.

ونظر الشاب البدين إليّ وقال:

– أخشى أنك قد وقعت في خطأ يا سيدي سنساعدك إذا استطعنا بطبيعة الحال لكن أحيانا ما تخطئ الاسكتلانديارد وقال أحدهم:

– ستضحك نيللي عندما تسمع هذا!

– أوه، طبعا ستضحك لابد أن أخبر تشارلي عن ذلك أيضا والآن يا مستر هاناي أنا لست غاضبا منك إنك تؤدي واجبك لكنك جئت، للمكان الخطأ.

لا يمكن أن يكون تمثيل هل يمثلون بهذا الإتقان وشعرت يقينا بأن كل هذا كان صحيحا. لقد وقعت فى خطأ وأردت أن أقول «معذرة ياسادة» وأغادر المنزل.

لكن الرجل العجوز كان أصلع وهذا هو الشاب البدين أيضا والرجل الثالث كان أسمر ونحيفا تطلعت إليهم بعناية وتطلعت فى أرجاء الحجرة كل شىء كان على مايرام. فلم أستطع أن أرى أى شىء مريب فى تلك الحجرة ولم أتعرف على وجوههم.

فسألنى الرجل المسن.

– ألا توافق يا سيدى؟ ألم تأت، للمنزل الخطأ؟

– لا هذا هو المنزل الصحيح.. فقال الشاب النحيف

– حسن إنها مضيعة كبيرة للوقت هل ستأخذنا إلى مخفر الشرطة؟ إنك تقوم بواجبك. أعرف، لكن هذا صعب جدا ولم أجب. وفكرت!

– أوه. يا بيتر بيدار، ساعدنى!

وقام الشاب البدين واقفا وقال:

- وربما مستر هاناى يحتاج لمزيد من الوقت، إنها ليست مشكلة سهلة بالنسبة له، دعونا نلعب البردج ولو لمدة نصف ساعة، هل ممكن؟ هل تلعب يا سيدى؟

- نعم إن لدى كثير من الوقت وأحب لعبة البريدج ذهبنا إلى الحجرة التالية، وتطلعت حولي كانت الكتب والصحف تظهر من حولى، وكانت أدوات التنس فى خزانة مفتوحة فى الركن، وكان تليسكوب الرجل العجوز فوق الخزانة.

وجلسنا حول مائدة لعب الورق فى منتصف الحجرة.

وأحضر لى الشاب الأسمر مشروبا ولعبت معه ضد الاثنين الآخرين كان يبدو كأنه حلما، كانت النوافذ مفتوحة. وكنت أستطيع رؤية ضوء القمر المنعكس على سطح البحر الرجراج ولم يكن الرجال الثالثة ضالعين على الإطلاق كانوا يتحدثون ويتضاحكون سويا لكن قلبى كان ينبض بسرعة لم ألعب جيدا فى تلك الليلة وكانت أفكارى مشتتة فلم أستطع متابعة اللعبة كانت لدى شكوكاً إزاء هؤلاء الرجال، وهم يعرفون ذلك طبعا وتطلعت إلى وجوههم المرة تلو الأخرى لكنى لم أستطع التعرف عليهم لأنهم لم يبدو مختلفين فقط، أنا نفسي شعرت يقينا أنهم مختلفون وفكرت مرة أخرى:

أوه بيتر، أين أنت؟

ثم فجأة لاحظت شيئا لقد وضع الرجل العجوز ورق اللعب على المائدة ليشرب بعض النبيذ، ولم يلتقط الورق لبرهة. وتراجع في كرسيه وبدأ فما دعك أذنه اليمنى وعلى الفور تذكرت المزرعة الاسكتلندية كنت واقفا أمامه هناك ثانية وكنت قد انتهيت لتوى من إخباره قصتي ولقد جلس هو متراجعا ودعك أذنه إنه أمر بسيط ليس إلا لكني تذكرت ما حدث بوضوح.

زالت الغشاوة عن عيني وأصبح كل شيء جليا تغيرت وجوههم وعرفت كل أسرارهم.

كان الشاب الأسمر الذي يقتل سكودر وكنت لاأزال ألعب البريدج معه، لكن عينيه أصبحتا باردتين وقاسيتين الآن ولقد تغير الشاب السمين أيضا ولم يصبح له وجه واحد، بل عشرات من الوجوه، ولعله كان القائد اللوا في الليلة السابقة.

لكن الرجل العجوز كان هو المجرم الرئيسي بكل وضوح كان جامدا كالصخرة وبلا خوف على الإطلاق وتذكرت كلمات سكودر:



تراجع فى كرسيه وبدا يدعك أذنه اليمنى.

- إذا رأيت عـينيـه يا ماناى فلن تنسـاهمـا أبداً وكـان هذا صحيحا ماكان لى أن أنساهما

وواصلنا اللعب لكن قلبى قـد أمـتـلأ بالكراهيـة وعندمـا تكلم الشاب الأسمر معى، لم أستطع الإجابة عليه

وقال الرجل العجوز:

- بوب! انظر للساعة إنك لن تلحق بقطارك إذا لم تسرع.

ثم التفت إلىّ وقال:

- لابد أن يعود بوب إلى لندن الليلة وكان الصوت الآن مزيفا تماما مثل وجوههم، فقلت:

- أنا آسف، لكنه لن يذهب الليلة

فسأل الشاب:

- لماذا لا؟ لابد أن أذهب. سأعطيك عنوانى

- لا يجب أن تبقى هنا

لعل ذلك جعلهم قلقين. لقد حاولا خداعى لكن الحيلة قد فشلت ولم يكن أمامهم إلا فرصة واحدة وانتهزها الرجل العجوز فقال:

- حسن اعتقلنى يا مستر هاناى، ودع ابن أخى يذهب.

هل سيكون ذلك مناسبا لك.

فصرخت:

- سكايف!

فانطفأت الأضواء فى الحال، وأمسكت أذرع قوية بى.

ولم أستطع الحركة للحظات

وصاح أحد الأصوات:

- شليل فرانز، زوم بوم، زوم بوم!

وتطلعت من النافذة فرأيت ضابطى شرطة يركضان الحديقة ولقد قفز الشاب الأسمر من النافذة وكان يجرى فى اتجاه السلالم وفجأة امتلأت الحجرة بالناس، وأمسكت بالرجل العجوز. وسقطت سكايف وشرطى آخر فوق الشاب السمين وعادت الأضواء.

وتطلعت من النافذة ثانية. فرأيت فرانز يصل إلى السلالم قبل رجال الشرطة. وفتح البوابة التى أغلقت نفسها خلفه ولم يستطع رجال الشرطة تعقبه. وانتظرنا للحظات قليلة.



وطارت درجات السلم فى الهواء مكونة سحابة من الغبار

وفجأة فلت الرجل العجوز مني واندفع إلى حائط الحجرة وضغطت على زر صغير وصدرت ضجة مهولة. من أسفل المنزل. وطارت درجات السلم في الهواء مكونة سحابة من الغبار.

فصحت:

- ديناميت! لقد دمروا السلالم!

وكان الرجل العجوز ينظر إليّ ضاحكا وكان ضوء فظيع يشتعل في عينيه.

وصاح:

إنه في أمان إنك لا تستطيع تعقبه لقد رحل.

لقد فاز ديرمووارز بستين ميجتريخ!

(لقد فاز الحجر الأسود)

امسك ضابطان من الشرطة الرجل العجوز من ذراعيه.

وقلت آخر كلماتي له:

- فرانمز لم يفز بشيء سوف يصل الأريادن بكل أمان أنا متأكد لكنها قد أصبحت تحت أيدينا منذ ساعة مضت.

ويعرف العالم كله أن الحرب بدأت في أوائل أغسطس سنة ١٩١٤ الجواسيس الألمان الثلاثة. وخدمت كضابط في الجيش البريطاني لكن لعل أفضل أعمالي هي التي تمت قبل الحرب

صبري الفضل

الفهرس



لقد أدركنا منذ البداية أن تكوين ثقافة المجتمع تبدأ بتأصيل عادة القراءة، وحب المعرفة، وأن المعرفة وسيلتها الأساسية هى الكتاب، وأن الحق في القراءة يماثل تماما الحق فى التعليم والحق فى الصحة.. بل الحق فى الحياة نفسها.

سوزان مبارك



٢٠٠ قرش